رسائل لأئمة الدعوة النجدية
في بيان توحيد ربّ البرية

١- رسالة في بيان التوحيد

لشيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

٢- شرح أصل دين الإسلام وقاعدته

للإمام الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

٣- بيان توحيد رب العالمين والردّ على شبهات المشركين

للقاضي العلامة عبد العزيز بن عبد الله الحصين الناصري رحمه الله

٤- رسالة في بيان معتقد تلامذة وأحفاد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

للعلامة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله تعالى

٥- فتاوى في معنى لا إله إلا الله

للعلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين رحمه الله تعالى

٦- رسالة في التوحيد والاجتماع والسمع والطاعة

للشيخ العلامة عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حمد بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

عليها تعليقات

لمحمد بن إبراهيم

غفر الله له

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

مكتب العقيدة الإسلامية

٩ شارع العقاد - ميدان ابن سندر - القاهرة

جوال: ٠١٠٠٤٠٥٧٢٤٩ (٠٠٢)

رسالة في
بيان التوحيد

لشيخ الإسلام الإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب

رحمه اللّه وأجزل له الأجر والثواب

علّق عليها

محمد بن إبراهيم
المصري الأثري

غفر اللّه تعالى له

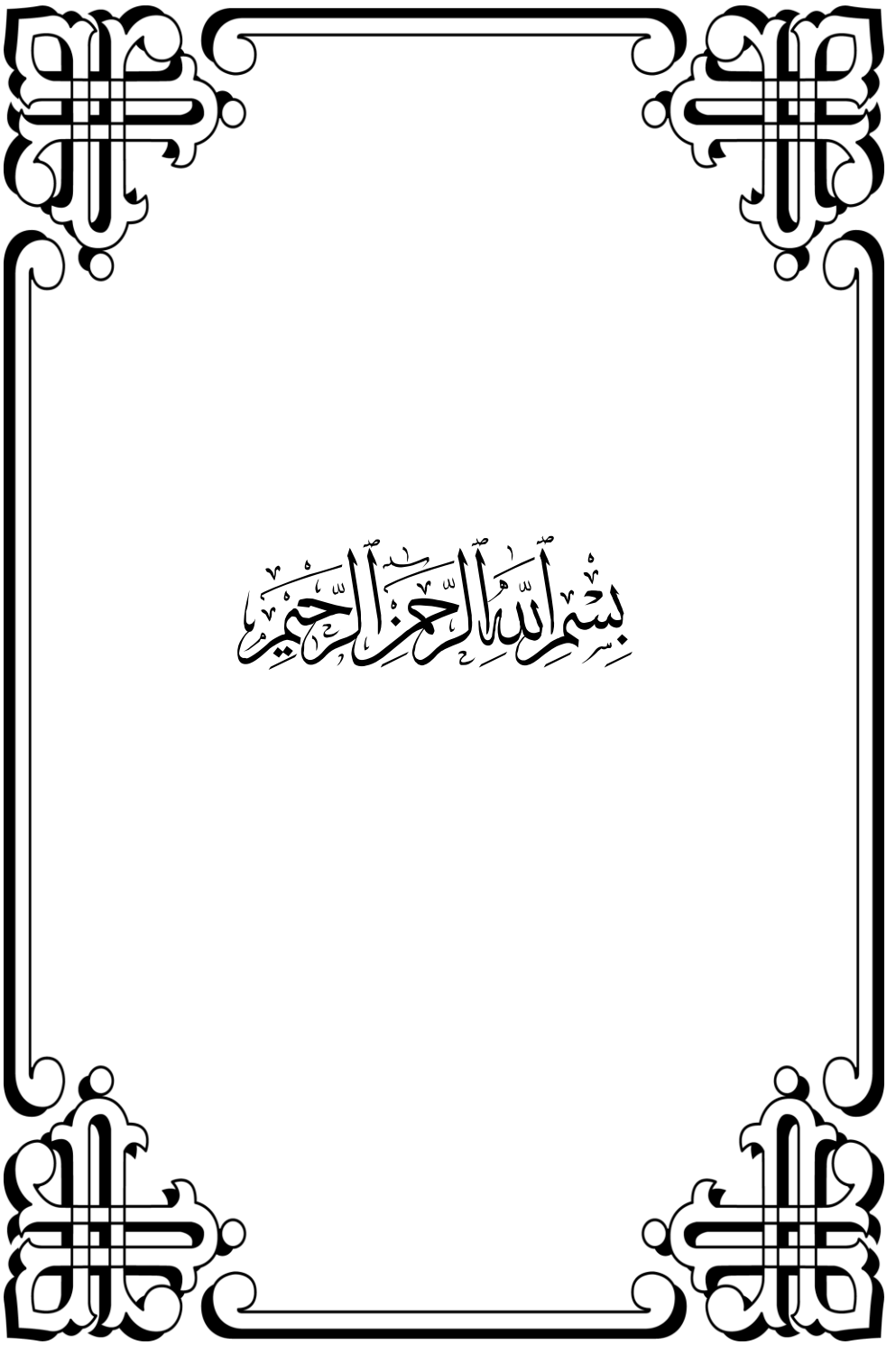
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم *

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: أخبركم أني - ولله الحمد - عقيدتي وديني الذي أدينُ الله به: مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة(١).

لكني بَيَّنْتُ للناس إخلاصَ الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأنبياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يَشْرَكُهُ فيه ملك مقرب، ولا نبي مرسَل.

وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة

---

* هذه الرسالة في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/ ٦٤: ٧٤).

(١) مراد شيخ الإسلام الإمام ﷺ بهذا الكلام الذي يكرره في كثير من رسائله أن يبين أنه متبع ليس بمبتدع، وأنه ليس صاحب دين جديد، أو مذهب أو طريقة جديدة، وقد كان ﷺ على ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، ملتزمًا طريقة أهل الحديث والسنة، مجانبًا طريقة أهل الكلام والرأي.

والجماعة.

وأنا صاحب منصبٍ في قريتي، مسموعُ الكلمة، فأنكر هذا بعض الرؤساء؛ لكونه خالف عادة نشئوا عليها.

وأيضًا ألزمتُ مَن تحت يدي بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وغير ذلك من فرائض الله، ونهيتهم عن الربا، وشرب المسكر، وأنواع من المنكرات.

فلم يمكن الرؤساءَ القدحُ في هذا وعيبُه؛ لكونه مُسْتَحْسَنًا عند العوام؛ فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما آمُرُ به من التوحيد، وما نهيتهم عنه من الشرك.

ولَبَّسُوا على العوام أن هذا خلاف ما عليه الناس[1]، وكبرت الفتنة جدًّا، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله، فنقول:

التوحيد نوعان:

توحيد الربوبية[2]: وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة

---

(١) **وما زالوا يلَبِّسُون ويقولون**: إن محمد بن عبد الوهاب كفَّر المسلمين، ومرق من الدين، وخالف أهل السنة والجماعة، ووقع في البدعة والضلالة، وكلمات أهل الضلال في هذا أكثر من أن تُحصر، والله المستعان.

(٢) **النوع الأول**: توحيد المعرفة والإثبات الذي يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وقد كان المشركون يقرون بهذا القسم ويؤمنون به كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

والأنبياء وغيرهم.

وهذا حق لا بد منه؛ لكن لا يُدْخِلُ الرجلَ في الإسلام، بل أكثر الناس مقرّون به، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١].

وإن الذي يُدْخِلُ الرجلَ في الإسلام هو:

توحيد الإلهية: وهو: ألَّا يُعبد إلا الله، لا ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلًا.

وذلك أن النبي ﷺ بُعِثَ والجاهلية يعبدون أشياء مع الله: فمنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يدعو عيسى، ومنهم من يدعو الملائكة.

فنهاهم عن هذا(١)، وأخبرهم أن الله أرسله لِيُوَحَّدَ، ولا يُدْعَى أحدٌ سِواهُ، لا

فكانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وبجنس توحيد الأسماء والصفات - وقد كان بعضهم ينكر شيئًا من توحيد الأسماء والصفات جهلًا أو عنادًا كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان: ٦٠] - وقد ذكر شيخ الإسلام هنا توحيد الربوبية، ليوضح الفرق بينه وبين توحيد الألوهية، وأن مجرد الإقرار بتوحيد الربوبية؛ لا يكفي حتى يكون الشخص موحدًا.

(١) ولم يفرق بينهم، فلم ينكر على من دعا الأصنام وترك من دعا الأنبياء والصالحين، بل أنكر على جميع المشركين شركهم.

الملائكة ولا الأنبياء.

فمن تبعه ووحد الله: فهو الذي يشهد أن لا إلٰه إلا الله، ومن عصاه ودعا عيسى أو الملائكة، واستنصرهم والتجأ إليهم؛ فهو الذي جحد لا إلٰه إلا الله مع إقراره أنه لا يخلق ولا يرزق إلا الله.

وهذه جملة لها بسطٌ طويلٌ، ولكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء.

فلما جرى في هذه الأمة ما أخبر به نبيها ﷺ حيث قال: «**لتتبعن سَنَن من كان قبلكم حذو القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ لدخلتموه**»[1].

وراجع القاعدة الثالثة من القواعد الأربعة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأجزل له الأجر والثواب.

(١) الحديث بهذا اللفظ قد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٧٩، ٨٠)، (١/ ١٦٩، ١٧٠) عازيًا إياه إلى الصحيحين من حديث أبي سعيد.

والذي في صحيح البخاري (٧٣٢٠)، (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم**» أو «**حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**» كما في موضعي البخاري.

أما هذا اللفظ الذي ذكره شيخا الإسلام فلم أقف عليه ومعلوم أن شَيْخَيِ الإسلام - خصوصًا أولهما - كانا يكتبان كثيرًا من الذاكرة، فربما أوردا الأحاديث بمعانيها.

وكان مَنْ قبلهم كما ذكر الله عنهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، وصار ناس من الضالين يدعون أناسًا من الصالحين في الشدة والرخاء.

مثل: عبد القادر الجيلاني(١)، وأحمد البدوي(٢)، وعَدِي بن مسافر(٣)، وأمثالهم

---

(١) هو الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة إحدى وستين وخمسمائة.

ترجم له غير واحد، وقال في آخر ترجمته في «السير» (١٥/ ١٨٩): «وفي الجملة: الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه».

وانظر «الاستقامة» (١/ ٥٥: ٥٧) لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكذلك «مجموع الفتاوى» له (١١/ ٦٠٤).

(٢) ذِكْرُ الإمامِ لأحمدَ البدوي هنا في عداد الصالحين على اعتبار اعتقاد الناس.

وإلا فإن البدوي إما شخصية خرافية وهمية، أو شخصية حقيقية جمعت الضلال والشرك والزندقة، كما تراه في ترجمته عند الشعراني في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٥٨: ١٦٣)، والنبهاني في «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٥١٣: ٥١٨)، وعند الكوهن في «طبقات الشاذلية» (ص/ ٧٣، ٧٤)، وانظر: تحقيقًا ونقدًا ماتعًا في «جهود.....» الشيخ شمس الدين الأفغاني (٢/ ٧٤١: ٧٥٢).

(٣) هو الشيخ عَدِيُّ بن مسافر الأموي.

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: «كان رجلًا صالحًا، وله أتباع صالحون، ومن أصحابه من فيه غلو عظيم يبلغ بهم إلى الكفر...» ا هـ.

من أهل العبادة والصلاح، صاح عليهم أهل العلم من جميع الطوائف - أعني على الداعين - وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم.

وبَيَّنَ أهل العلم أن هذا هو الشرك الأكبر، وعبادة الأصنام، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكُتُبَ لِيُعْبَدَ وحدَهُ، ولا يدعى معه إلٰه آخر.

والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل: الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصورة على صورهم لم يكونوا يعتقدون أنها تُنْزِلُ المطرَ أو تُنْبِتُ النباتَ.

وإنما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تَنْهَى عن أن يُدْعَى أحدٌ من دونه، لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة.

واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي ﷺ بأنهم[1] يدعون الملائكة والأولياء والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب إليهم، وإلا فهم مقرون بأن الأمر لله.

وانظر بقية كلامه عنه في «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٠٣: ١٠٥).

ولشيخ الإسلام رسالة مشهورة موجهة لأتباعه هي «الوصية الكبرى»، وهي في مجموع الفتاوى (٣/ ٣٦٣: ٤٣٠)، وقد طبعت مستقلة مرارًا.

(١) ما بعد كلمة «بأنهم» هو معتقد المشركين الأولين لا المتأخرين.

فهم لا يدعونهم إلا في الرخاء، فإذا جاءت الشدائد أخلصوا لله.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧] الآية.

واعلم أن التوحيد هو: إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده.

فأولهم نوح - عليه السلام - أرسله الله إلى قومه لما غَلَوْا في الصالحين: وَدٍّ وسُوَاعٍ ويَغوث ويعوق ونسر.

وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسَّر صورَ الصالحين.

أرسله الله إلى أناس يتعبدون، ويحجون، ويتصدقون، ويذكرون الله كثيرًا، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله تعالى.

يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله تعالى، ونريد شفاعتهم عنده.

مثل: الملائكة، وعيسى ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين[1].

---

(١) راجع شروح «كشف الشبهات» لمزيد بيان لهذه الجُمَل، وانظر دفاعًا عنها في «دحر افتراءات أهل الزيغ والارتياب عن دعوة الإمام محمد ابن عبد الوهاب» (ص/ ٧٣: ٨٠) للعلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى.

فبعث الله محمدًا ﷺ يجدد لهم دين إبراهيم، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محضُ حق الله تعالى، لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب، ولا نبي مرسل، فضلًا عن غيرهما.

وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له.

وأنه لا يخلق ولا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو.

وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن، كلهم عبيده، وتحت تصرفه وقهره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا، فاقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس].

وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون].

وغير ذلك من الآيات الدالات على تحقق أنهم يقولون بهذا كله، ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ.

وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد[1].

كما كانوا يدعون الله - سبحانه وتعالى- ليلًا ونهارًا، خوفًا وطمعًا، ثم منهم من يدعو الملائكة؛ لأجل صلاحهم وقربهم من الله ﷻ ليشفعوا لهم، ومنهم من يدعو رجلًا صالحًا مثل اللات، أو نبيًّا مثل عيسى.

وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على ذلك، ودعاهم على إخلاص العبادة لله كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤].

---

(١) **فيقال**: أهل البلدة الفلانية يعتقدون فلانًا، أو لهم فيه معتقد، يعني أنه يُقصد عندهم بالاستغاثة، والاستعانة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي مَنْ صرفها لغير الله فقد أشرك.

وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدين كلُّه لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادة كلها لله.

وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يُدْخِلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله تعالى بهم هو الذي أحل دماءهم وأموالهم.

عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون.

وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إلٰه إلا الله، فإن الإله عندهم هو الذي يُقْصَد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكًا، أو نبيًّا، أو وليًّا، أو شجرة، أو قبرًا، أو جنيًّا.

لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يُقِرُّون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وإنما يعنون بالإله: ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد[1].

فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي: لا إلٰه إلا الله.

---

(١) يعني أن المشركين يعبرون عن الأولياء الذين يعبدونهم بلفظ «سيدي»، وصار عرفًا عند كثير من الناس إذا قيل: هذا ضريح سيدي فلان، فهذا يعني أنه وثن يعبد من دون الله تعالى.

والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها.

والكفار والجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو: إفراد الله بالتعلق، والكفر بما يُعْبَد من دونه، والبراءة منه.

فإنه لما قال لهم قولوا: لا إلٰه إلا الله، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥].

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك؛ فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني.

والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق، ولا يرزق، ولا يحيي، ولا يميت، ولا يدبر الأمر إلا الله.

فلا خير في رجل؛ جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إلٰه إلا الله.

فإذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] الآية، وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم، الذي لا يقبل الله من

أحد دينًا سواه، وعرفت مـا أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا، أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله وبرحمته، قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

وأفادك أيضًا الخوف العظيم، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه.

وقد يقولها وهو جاهل[1] فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله.

خصوصًا، إن ألهمك الله مـا قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم، أنهم أتوه قائلين: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فحينئذ يعظم

---

(١) **مراد الإمـام بالجهل هنا**: الجهل الناشئ عن الإعراض بعد قيام الحجة؛ لا الجهل الناشئ عن عدم البلاغ.

فإنه قد قرر ﷺ في غير مـا موضعٍ العذرَ بالجهل الناشئ عن عدم البلاغ، ومن هذا قوله ﷺ: «وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهمـا؛ لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم؛ فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا؟» اهـ. «الدرر السنية...» (١/ ١٠٤)، وراجع «دحر افتراءات أهل الزيغ والارتياب...» (ص/ ٤٧: ٦٠) فمـا فيه مهم في هذا الباب.

خوفك، وحرصك على مـا يخلصك من هذا وأمثاله.

واعلم أن الله – سبحانه – من حكمته لم يبعث نبيًّا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً[١] كمـا قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[٢][الأنعام: ١١٢].

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كمـا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾.

فإذا عرفتَ ذلك، وعرفتَ أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج[٣] كمـا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ

---

(١) قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ: «لم يأت رجل قط بمثل مـا جئت به إلا عُودِي»، وفي رواية: «لم يأت رجل بمـا جئت به إلا أوذي» كمـا في صحيح البخاري (٣)، (٤٩٥٣)، وصحيح مسلم (١٦٠).

(٢) وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١].

(٣) فيصنفون التصانيف ويطبعون الكتب في نصرة الشرك والضلال، مثل النبهاني الذي ألف كتابًا سمـاه: «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق» وقد قرظه جمع من أكبر من يُوصف بالعلم في زمـانه، وأمثال هذا كثير، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* والكتب المصنفة في نصرة الشرك ممن ينتسب إلى الإسلام قديمًا وحديثًا أكثر من أن أستطيع حصرها.

﴿تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٨٦] الآية.

فالواجب عليك أن تعلم مِن دين الله ما يصير لك سلاحًا تقاتل به هؤلاء الشياطين، الذين قال إمامهم ومُقَدَّمهم لربك ﷻ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حجج الله وبيناته، فلا تخف ولا تحزن: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

والعامِّي من الموحدين يغلب أَلفًا من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣].

فَجُنْد الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان.

وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح.

وقد مَنَّ الله علينا بكتابه الذي جعله تِبْيَانًا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين.

فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويُبَيِّنُ بطلانها[1] كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان].

قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.

والحاصل: أن كل ما ذكر عنَّا من الأشياء غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك، فكله من البهتان.

ومن أعجب ما جرى من الرؤساء المخالفين أني لما بينتُ لهم كلام الله، وما ذكر أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] الآية.

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وقوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

---

(١) كما قال الإمام شمس الدين ابن القيم - رحمه الله تعالى - في «مدارج السالكين» (٣/ ٣٢٦): «القرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم» اهـ.

وقال أيضًا (٣/ ٣٢٥): «بل نقول قولًا كليًّا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه».

ومـا ذكر الله من إقرار الكفار في قوله: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [يونس: ٣١].

وغير ذلك.

قالوا: القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثالنا، ولا بكلام الرسول، ولا بكلام المتقدمين(١)، ولا نطيع إلا مـا ذكره المتأخرون.

قلت لهم: أنا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية، والمـالكي والشافعي والحنبلي؛ كُلٌّ أخاصمه بكتب المتأخرين من علمـائهم الذين يعتمدون عليهم(٢).

فلمـا أبوا ذلك، نقلت كلام العلمـاء من كل مذهب لأهله، وذكرتُ كل مـا قالوا بعدمـا صرحت الدعوةُ عند القبور والنذر لها.

فعرفوا ذلك وتحققوه؛ فلم يزدهم إلا نفورًا.

---

(١) وهذه هي الشبهة الشيطانية التي ردها الإمـام في الأصل السادس من الأصول الستة.

(٢) يَظهر من هذا الكلام سعة علم شيخ الإسلام الإمـام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - وأن نصر التوحيد والسنة لابد له من العلم والتحقيق فيه، أمـا ثرثرة الجهال الأدعياء وتشدقهم فمـا يأتي إلا بزيادة الضلال والبلاء، والله المستعان.

وأمـا التكفير: فإني أكفر مَنْ عرف دين الرسول ثم بعد مـا عرفه سَبَّهُ ونَهَى الناس عنه وعادى مَنْ فعله، فهذا هو الذي أُكَفِّرُ.

وأكثر الأمة – ولله الحمد – ليسوا كذلك[١].

وأمـا القتال: فلم نقاتل أحدًا إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أَتَوْنَا في ديارنا ولا أبقوا ممكنًا.

ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة، وجزاء سيئة مثلها، وكذلك مَنْ جَاهَرَ بسَبِّ دين الرسول بعد مـا عرفه.

فإنا نبين لكم أن هذا الحق الذي لا ريب فيه، وأن الواجب إشاعته في الناس، وتعليمه النساء والرجال[٢].

---

(١) هذا واضح في بيان معتقد الإمـام في أمة الإسلام.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب – رحمهم الله تعالى –: «فإذا كان هذا التوحيد الذي هو حق الله على العباد، قد خفي على أكابر العلمـاء في أزمنة سلفت، فكيف لا يكون بيانه أهم الأمور؟

خصوصًا، إذا كان الإنسان لا يصح له إسلام ولا إيمـان إلا بمعرفة هذا التوحيد وقبوله ومحبته والدعوة إليه وتَطَلُّب أدلته واستحضارها ذهنًا وقولًا وطلبًا ورغبةً.

فرحم الله من أدى الواجب عليه، وتاب إلى الله، وأقر على نفسه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ونسأل الله أن يهدينا وإياكم لما يحبه ويرضاه.

فهذه نصيحة مني لكل إنسان، دعاني إليها غربةُ الدين وقلة المعرفة، فينبغي أن تشاع وتذاع في محاضر أهل العلم، يقبلها من وفقه الله للخير، فإنها خير مما كتبتم فيه بأضعاف أضعاف. انتهى من «الدرر السنية...» (١/ ٣٢٢).

الفهرس

عقيدة شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب ٥
أنواع التوحيد ٦
دين الرسول الله ﷺ ٧
عقيدة المشركين الأولين وشبهتهم ١٠
معنى التوحيد ١١
معنى لا إله إلا الله عند متأخري المشركين ١٥
فوائد فهم دين الله ١٥
أعداء التوحيد ١٧
ضرورة طلب العلم ١٨
رد المخالفين لكلام الله وكلام رسوله ﷺ ٢٠
عقيدة الإمام في التكفير والقتال ٢١

شرح
أصل دين الإسلام
وقاعدته

الإمام الشيخ

عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

- رحمه اللّه تعالى -

علّق عليها

محمد بن إبراهيم المصري

غفر اللّه تعالى له

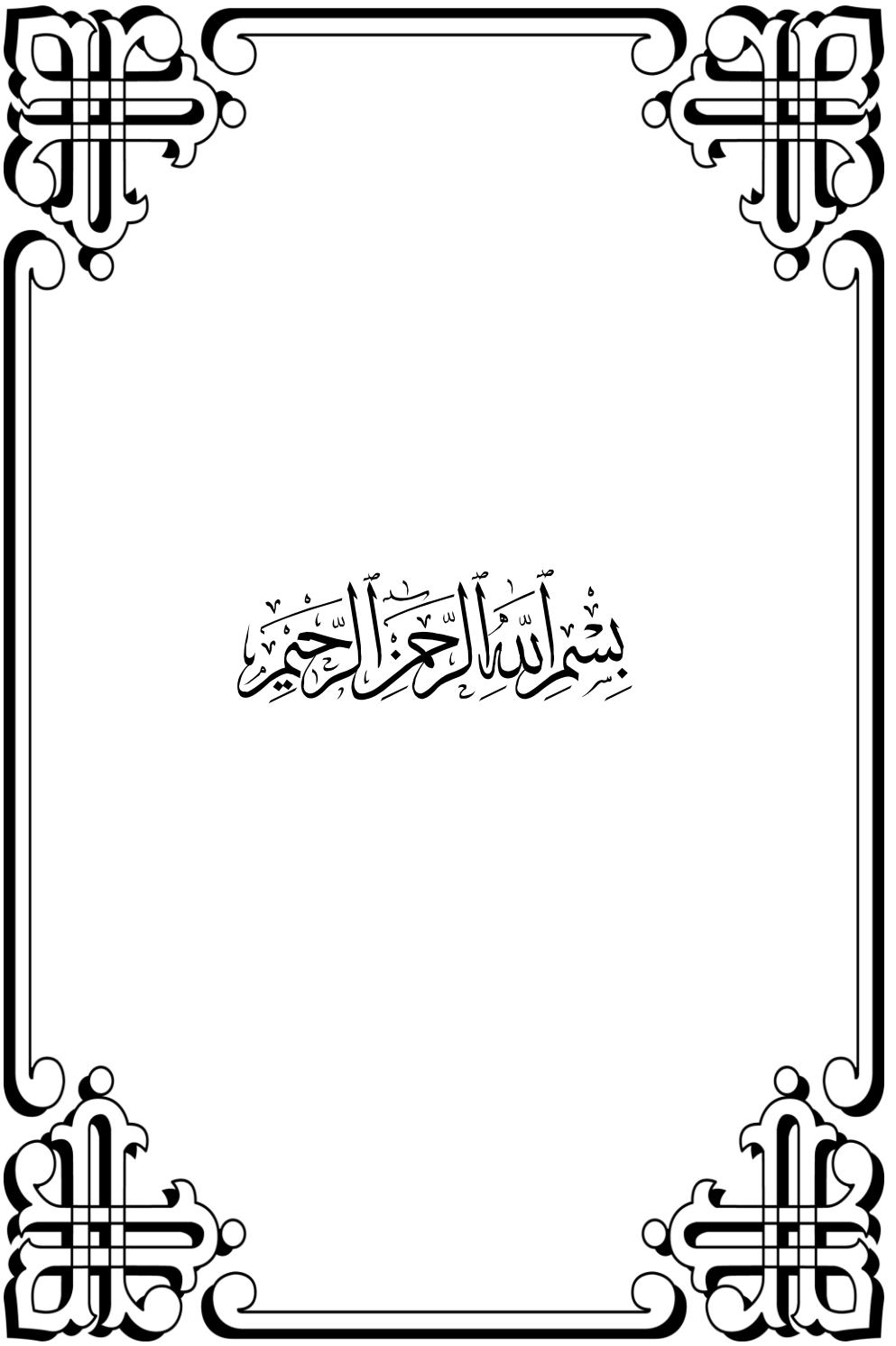
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب].

أما بعد،

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

«لمّا كان توحيد الله ﷻ والإيمان به وبرسله – عليهم الصلاة والسلام – أهمَّ الواجبات وأعظم الفرائض، والعلم بذلك أشرف العلوم وأفضلها، ولما كانت الحاجة إلى هذا الأصل الأصيل داعية إلى بيانه بالتَّفصيل»[1] وجب على كلِّ مسلم

(١) «مجموع فتاوى العلاّمة الشيخ عبد العزيز بن باز – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –» (٢/ ٤١).

الاهتمام به والحرص على تعلّمه وتعليمه ونشره وإذاعته والدّعوة إليه دعوة مؤصَّلة مفصَّلة – على ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ –.

ومِمَّن يسَّرهم الله تعالى للقيام بهذا الواجب قيامًا عظيمًا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأجزل له الأجر والثواب، وأدخله الجنّة بغير حساب – «دعا إلى الله، وأرشد الناس ونهاهم عن الشرك، وبين لهم أن التوحيد هو حق لله ﷻ على عباده، وأنه الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وبيَّن لهم معنى «لا إله إلا الله»، وأن معناها: لا معبود حق إلا الله، يعني: أنها نفي وإثبات، تنفي الإلهية عن غير الله وتثبت العبادة لله وحده ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج: ٦٢]. وقال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]. وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]. وقال ﷻ: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[غافر: ١٤]. وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥].

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ – محمد بن عبد الوهاب – قام بهذه الدعوة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، وكان ذلك في العيينة في بلدة قريبة من الرياض، دعا إلى الله فيها، ونشر التوحيد وصارت عنده حلقة عظيمة في التعليم، ثم انتقل

لأسباب معروفة إلى الدرعية، وتلقَّاه أميرها محمد بن سعود وبايعه على الدعوة إلى الله ﷻ، وعلى نشر الإسلام في الدرعية وما حولها، فنفع الله بذلك، وتعاون الإمامان: الإمام محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود جد العائلة المالكة الآن، فتعاونا في سبيل الدعوة، وكان ذلك في عام ثمان وخمسين ومائة وألف من الهجرة النبوية.

هكذا بدأ الدعوة في الدرعية بعد أن انتقل من العيينة، فانتشر الإسلام هناك، وأزيلت القباب التي على القبور، وانتشر التوحيد بين الناس، وعرفوا حقيقة معنى «لا إله إلا الله»، ثم قامت دولة آل سعود في بقية الجزيرة، وانتشر أمر التوحيد في أطراف الجزيرة، فنفع الله بهذه الدعوة نفعا عظيما، وظهر بها الحق، وانتصر بها أهل التوحيد، وصارت عَلَمًا لأهل التوحيد في كل مكان.

ثم انتشرت هذه الدعوة أيضا في اليمن، وفي جهات كثيرة من الهند والشام والعراق ومصر، حيث تلقاها أئمة الهدى وعلماء الحق بالقبول، وساعدوا الشيخ محمدا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَدَعَوْا بدعوته.

وخالفه آخرون ممن غلب عليهم الجهل أو التقليد والتعصب لآبائهم وأسلافهم، أو غلب عليهم الهوى والتعصب لما هم عليه لئلا يقول الناس: لماذا لم تُعَلِّمونا، فعادوا هذه الدعوة، وكتبوا كتابات باطلة ضدها، ولكن الله سبحانه نصر الدعوة وأهلها، واستقام أمر التوحيد في الجزيرة، وانتشر أمر الله بحمد

الله»[1].

وهذه الرسالة االمباركة جزء من جهاد شيخ الإسام محمد بن عبد الوهاب لنشر التوحيد ومقارعة الشّرك وأهله، وقام بشرحها شرحا طيبا مختصرا حفيده المجدّد الثاني الإمام الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله تعالى -.

أسأل الله تعالى أن يثبّتنا على التوحيد والسنة حتّى الممات، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

والحمد لله ربّ العالمين.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

القاهرة

في الرابع والعشرين من شهر صفر

سنة تسع وعشرين وأربعمائة وألف

(١) فتاوى «نور على الدرب» (١/ ١٧، ١٨) للعلاّمة الشيخ عبد العزيز بن باز - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-[١]:

*** أصل دين الإسلام وقاعدته: أمران.**

- **الأول**: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

- **الثاني**: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله.

*** والمخالفون[٢] في ذلك أنواع:**

- فأشدهم مخالفة: من خالف في الجميع،

- ومن الناس: من عبد الله وحده، ولم ينكر الشرك، ولم يعاد أهله.

- ومنهم: من عاداهم ولم يكفرهم.

- ومنهم: من لم يحب التوحيد، ولم يبغضه.

---

(١) هذا المتن في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ٢٢).

(٢) في الشرح: «المخالف».

- ومنهم: من كفَّرهم، وزعم أنه مسَبَّة للصالحين[١].

- ومنهم: من لم يبغض الشرك، ولم يحبه.

- ومنهم: من لم يعرف الشرك، ولم ينكره.

- ومنهم: من لم يعرف التوحيد، ولم ينكره.

ومنهم - وهو أشد الأنواع خطرا-: من عمل بالتوحيد، لكن[٢] لم يعرف قدره، ولم[٣] يبغض من تركه، ولم يكفِّرهم.

- ومنهم: من ترك الشرك وكرهه، ولم يعرف قدره[٤]، ولم يعاد أهله، ولم يكفِّرهم.

* وهؤلاء: قد خالفوا ما جاءت به الأنبياء من دين الله ﷻ، والله أعلم.

---

(١) هذه الجملة لم تذكر في الشرح.

(٢) في الشرح «ولم» بدل «لكن لم».

(٣) في الشرح «فلم» بدل «ولم».

(٤) إلى هنا انتهى شرح الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

*** قال الشيخ الإمام عبد الرّحمن بن حسن - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - شرحًا لكلام جدّه شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -**[1]:

١- قوله - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: (أصل دين الإسلام، وقاعدته أمران: الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه).

قلت: وأدلة هذا في القرآن أكثر من أن تحصر، كقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ**﴾ الآية [آل عمران: ٦٤].

أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى «لا إله إلا الله»، الذي دعا إليه العرب وغيرهم.

والكلمة هي: «لا إله إلا الله»[2]، ففسرها بقوله: ﴿**أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ**﴾، فقوله:

---

(١) هذا الشرح في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ٢٠٢: ٢١١)، «الجامع الفريد» (ص/ ٣٣٦: ٣٤٠) وبينهما اختلافات لم أشر إلاّ للقليل منها.

(٢) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

«فصل في معنى (لا إله إلا الله):

اعلم - رحمك الله تعالى - أن (لا إله إلا الله) هي: الكلمة العالية والشريفة الغالية، من استمسك بها فقد سلم، ومن اعتصم بها فقد عُصم، قال رسول الله ﷺ «**من قال لا إله إلا الله،**

﴿أَلَّا نَعۡبُدَ﴾، فيه معنى: «لا إله»، وهو نفي العبادة عما سوى الله، وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾، هو المستثنى في كلمة الإخلاص؛ فأمره تعالى أن يدعوهم إلى قصر العبادة عليه وحده، ونفيها عمن سواه.

وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله ﷻ». والحديث يُفصح أن (لا إله إلا الله)، لها لفظ ومعنى، ولكن الناس فيها ثلاث فرق: فرقة نطقوا بها وحققوها، وعلموا أن لها معنى وعملوا به، ولها نواقض فاجتنبوها. وفرقة: نطقوا بها في الظاهر، فزينوا ظواهرهم بالقول، واستبطنوا الكفر والشك. وفرقة: نطقوا بها ولم يعملوا بمعناها، وعملوا بنواقضها، فهؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

فالفرقة الأولى هي الناجية، وهم المؤمنون حقا، والثانية هم المنافقون، والثالثة هم المشركون، فـ(لا إله إلا الله) حصن، ولكن نصبوا عليه منجنيق التكذيب، ورموه بحجارة التخريب، فدخل عليهم العدو، فسلبهم المعنى، وتركهم مع الصورة».

ثمّ قال: «سلبوا معنى (لا إله إلا الله)، فبقي معهم لقلقة باللسان، وقعقعة بالحروف، وهو ذكر الحصن لا مع الحصن، فكما أن ذكر النار لا يحرق، وذكر الماء لا يغرق، وذكر الخبز لا يشبع، وذكر السيف لا يقطع، فكذلك ذكر الحصن لا يمنع. فإن القول قشر، والمعنى لب، والقول صدف، والمعنى در، ماذا يُصنع بالقشر مع فقدان اللب؟ وماذا يُصنع بالصدف مع فقدان الجوهر؟

(لا إله إلا الله) مع معناها بمنزلة الروح من الجسد، لا يُنتفع بالجسد دون الروح، فكذلك لا ينتفع بهذه الكلمة دون معناها».

انتهى من «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ١١٢: ١١٤).

ومثل هذه الآية كثير، يبين أن الإلهية هي العبادة، وأنها لا يصلح منها شيء لغير الله، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، معنى ﴿وَقَضَىٰ﴾: أمر ووصَّى، قولان، ومعناهما واحد(١).

وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ فيه معنى: «لا إله»، وقوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فيه معنى: «إلا الله».

وهذا هو توحيد العبادة، وهو دعوة الرسل، إذ قالوا لقومهم: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢].

فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأسا، والبراءة منه وممن فعله، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يعبد من دون الله.

وقال [تعالى] عنه عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨].

---

(١) قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - في تفسيره (١٥/ ٦٢): «قد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾، وإن كان معنى جميعهم في ذلك واحدًا»، ثمّ ذكر عددًا من الآثار في ذلك.

فيجب اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منهما، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، والذين معه هم الرسل، كما ذكره ابن جرير(١).

وهذه الآية تتضمن جميع ما ذكره شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من التحريض على التوحيد، ونفي الشرك، والموالاة لأهل التوحيد، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافي له؛ فإن من فعل الشرك فقد ترك التوحيد؛ فإنهما ضدان لا يجتمعان، فمتى وجد الشرك انتفى التوحيد.

وقد قال تعالى في حال من أشرك: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ

---

(١) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره المسمى «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٢٨/ ٦٢):
«يقول - تعالى ذكره - للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ: قد كان لكم أيها المؤمنون ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ يقول: قدوة حسنة ﴿فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ خليل الرحمن تقتدون به، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أنبياء الله» ثمّ روى بسند صحيح عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنّهم: أنبياء الله.
والذي اعتمده غير واحد من المفسرين هو أنّ ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾: أتباعه الذين آمنوا معه، كما قال الحافظ ابن كثير - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - في تفسيره (٤/ ٣٤٧).
وانظر: «معالم التنزيل» (٤/ ٨٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٥٤)، و«النكت والعيون» (٤/ ٢٣٩)، و«تيسير الكريم الرحمن» (٧/ ٣٥٢)، وغيرها.

بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر: ٨]، فكفّره تعالى باتخاذ الأنداد، وهم الشركاء في العبادة؛ وأمثال هذه الآيات كثيرة، فلا يكون موحدا إلا بنفي الشرك، والبراءة منه، وتكفير من فعله.

❀❀❀

٢- ثم قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: (الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله):

فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا؛ وهو دين الرسل، أنذروا قومهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحقاف: ٢١].

- قوله: (**في عبادة الله**): العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة(١).

- قوله: (**والتغليظ في ذلك**): وهذا موجود في الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات].

---

(١) انظر هذا التعريف وبيانه في رسالة «العبودية» لشيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -، وهي في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٤٩: ٢٣٧).

ولولا التغليظ، لما جرى على النبي ﷺ وأصحابه من قريش ما جرى، من الأذى العظيم، كما هو مذكور في السير مفصلا، فإنه بادأهم بسبِّ دينهم وعيب آلهتهم(١).

- قوله - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: (**والمعاداة فيه**): كما قال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥].

والآيات في هذا كثيرة جدا، كقوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. والفتنة: الشرك(٢).

ووسم تعالى أهل الشرك بالكفر فيما لا يحصى من الآيات، فلا بد من تكفيرهم أيضا، وهذا هو مقتضى «لا إله إلا الله»، كلمة الإخلاص؛ فلا يتم معناها إلا بتكفير من جعل لله شريكا في عبادته.

كما في الحديث الصحيح: «**من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله،**

---

(١) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:
«فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائطهم، هم الذين يسميهم الناس الأولون الإله، والواسطة هو الإله، فقول الرجل: (لا إله إلا الله)، إبطال للوسائط».
انتهى من «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ١١٧).

(٢) قال تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، وقال: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

حرم ماله ودمه، وحسابه على الله»[1]. فقوله: «**وكفر بما يعبد من دون الله**»: تأكيد للنفي، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردد، لم يعصم دمه وماله[2].

فهذه الأمور هي تمام التوحيد، لأن «لا إله إلا الله» قُيِّدَت في الأحاديث بقيود ثقال: بالعلم، والإخلاص، والصدق، واليقين، وعدم الشك؛ فلا يكون المرء مُوَحِّدا إلا باجتماع هذا كله، واعتقاده، وقبوله، ومحبته، والمعاداة فيه، والموالاة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣)، وأحمد (٣/ ٤٧٢)، (٦/ ٣٩٤، ٣٩٥)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٣١٨، ٣١٩) من طريق أبي مالك - وهو سعد بن طارق الأشجعي - عن أبيه - وهو طارق بن أَشْيَمَ رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ.

(٢) وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - أيضًا:

«وأما قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**وكفر بما يعبد من دون الله**»، فهذا شرط عظيم، لا يصح قول (لا إله إلا الله) إلا بوجوده، وإن لم يوجد لم يكن من قال (لا إله إلا الله) معصوم الدم والمال؛ لأن هذا هو معنى (لا إله إلا الله)، فلم ينفعه القول بدون الإتيان بالمعنى الذي دلت عليه، مِنْ تَرْكِ الشرك والبراءة منه وممن فعله، فإذا أنكر عبادة كل ما يعبد من دون الله، وتبرأ منه، وعادى من فعل ذلك، صار مسلمًا، معصوم الدم والمال؛ وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]».

انتهى من «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ٢٤٣).

فبمجموع ما ذكره شيخنا، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يحصل ذلك[1].

❀❀❀

(١) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

«(لا إله إلا الله) شجرة السعادة، إن غرستها في منبت التصديق، وسقيتها من ماء الإخلاص، ورعيتها بالعمل الصالح، رسخت عروقها، وثبت ساقها، واخضرت أوراقها، وأينعت ثمارها، وتضاعف أكلها ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

وإن غرست هذه الشجرة في منبت التكذيب والشقاق، وأسقيتها بماء الرياء والنفاق، وتعاهدتها بالأعمال السيئة والأقوال القبيحة، وطفح عليها غدير العَذِر، ولفحها هجير هجر، تناثرت ثمارها، وتساقطت أوراقها، وانقشع ساقها، وتقطعت عروقها، وهبت عليها عواصف القذر، ومزقتها كل ممزق ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] ».

انتهى من «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ١١٥).

٣- ثم قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: (والمخالف في ذلك أنواع: فأشدهم مخالفة، من خالف في الجميع):

فقبل الشرك واعتقده دينا، وأنكر التوحيد واعتقده باطلا، كما هو حال الأكثر؛ وسببه: الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة، من معرفة التوحيد، وما ينافيه من الشرك والتنديد، واتباع الأهواء وما عليه الآباء، كحال من قبلهم من أمثالهم من أعداء الرسل، فَرَمَوْا أهل التوحيد بالكذب والزور، والبهتان والفجور؛ وحجتهم: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤].

وهذا النوع من الناس والذي بعده، قد ناقضوا ما دلت عليه كلمة الإخلاص، وما وضعت له، وما تضمنته من الدين الذي لا يقبل الله دينا سواه، وهو دين الإسلام الذي بعث الله به جميع أنبيائه ورسله، واتفقت دعوتهم عليه كما لا يخفى فيما قص الله عنهم في كتابه.

٤- ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن الناس من عبد الله وحده، ولم ينكر الشرك، ولم يعاد أهله):

قلت: ومن المعلوم أن من لم ينكر الشرك، لم يعرف التوحيد، ولم يأت به، وقد عرفتَ أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك، والكفر بالطاغوت المذكور في الآية[1].

۞۞۞

(١) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

«ومعنى الكفر بالطاغوت: أن تبرأ من كل ما يعتقد فيه غير الله، من جني، أو إنسي، أو شجر، أو حجر، أو غير ذلك؛ وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه، ولو كان أباك وأخاك؛ فأما من قال: أنا لا أعبد إلا الله، وأنا لا أتعرض السادة والقباب على القبور، وأمثال ذلك، فهذا كاذب في قول (لا إله إلا الله)، ولم يؤمن بالله، ولم يكفر بالطاغوت».

انتهى من «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ١٢١: ١٢٢).

٥- ثم قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: (ومنهم: من عاداهم، ولم يكفرهم):

فهذا النوع أيضا لم يأت بما دلت عليه «لا إله إلا الله» من نفي الشرك، وما تقتضيه من تكفير من فعله، بعد البيان إجماعًا[١]؛ وهو مضمون سورة الإخلاص، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[الكافرون: ١] وقوله، في آية الممتحنة: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤].

ومن لم يكفِّر من كفر القرآن فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد، وما يوجبه[٢].

❀❀❀

(١) فلابدّ من البيان وقيام الحجّة - كما سيأتي -، وانظر: «الدرر السنية...» (٢/ ٤٤، ١٥٠).

(٢) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - في «نواقض الإسلام»: «الثالث: من لم يكفر المشركين، أو يشكّ في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر»؛ اهـ.

قال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله تعالى - في «شرح نواقض الإسلام» (ص/ ٢٠): «وهذه المسألة خطيرة جدًّا، يقع فيها كثير من المنتسبين للإسلام، من لم يكفر المشركين، يقول: أنا - والحمد لله - ما عندي شرك، ولا أشركت بالله، ولكن الناس لا أكفرهم! نقول له: أنت ما عرفت الدين، يجب أن تكفِّر من كفَّر اللهُ، ومن أشرك بالله ﷻ، وتتبرأ منه، كما تبرأ إبراهيم من أبيه وقومه، وقال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف]»؛ اهـ.

٦- ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومنهم من لم يحب التوحيد، ولم يبغضه):

فالجواب: أن من لم يحب التوحيد لم يكن موحدا، لأنه هو الدين الذي رضيه الله تعالى لعباده، كما قال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فلو رضي بما رضي به الله، وعمل به لأحبه، ولا بد من المحبة، لعدم حصول الإسلام بدونها، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد.

قال شيخ الإسلام، رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإخلاص: محبة الله، وإرادة وجهه؛ فمن أحب الله أحب دينه، ومن لا فلا؛ والمحبة يترتب عليها ما تقتضيه كلمة الإخلاص من شروط التوحيد»[1].

❀❀❀

(١) انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - في هذا المعنى في «التحفة العراقية في الأعمال القلبية»، ضمن «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٤٨: ٦٦)، وضمن «المجموعة المنيرية» (ص/ ١٠: ٤٨)، وفي مواضع أخرى متعددة.

٧- ثم قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: (ومنهم: من لم يبغض الشرك، ولم يحبه):

قلت: ومن كان كذلك، فلم ينف ما نفته «لا إله إلا الله»[1] من الشرك والكفر بما يعبد من دون الله، والبراءة منه، فهذا ليس من الإسلام في شيء أصلا، ولم يعصم دمه ولا ماله، كما دل عليه الحديث المتقدم.

❀❀❀

(١) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

«اعلم أن هذه الكلمة، نفي وإثبات؛ نفي الألوهية عما سوى الله -تبارك وتعالى- من المخلوقات حتى عن محمد ﷺ وعن الملائكة، حتى جبرائيل، فضلاً عن غيرهم من الأولياء والصالحين».

انتهى من «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ١١٦).

٨- وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومنهم: من لم يعرف الشرك ولم ينكره):

قلت: من لم يعرف الشرك ولم ينكره، لم ينفه؛ ولا يكون موحدا، إلا من نفى الشرك وتبرأ منه وممن فعله، وكفَّرهم؛ وبالجهل بالشرك لا يحصل شيء مما دلت عليه «لا إله إلا الله»[1]، ومن لم يقم بمعنى هذه الكلمة ومضمونها، فليس من الإسلام في شيء، لأنه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها عن علم ويقين، وصدق وإخلاص، ومحبة وقبول، وانقياد؛ وهذا النوع ليس معه من ذلك شيء، وإن قال «لا إله إلا الله»[2]، فهو لا يعرف ما دلت عليه، ولا ما تضمنته.

❀❀❀

(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

«وقد قيدت (لا إله إلا الله)، في الأحاديث الصحيحة بقيود ثقال، لابدّ من الإتيان بجميعها، قولاً واعتقادًا وعملاً».

انتهى من «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ٢٤٣).

(٢) قال الشيخ العلاّمة حافظ الحكمي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - عن «لا إله إلا الله»:

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقًّا وردت

فإنّه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبّة ... وفقط الله لما أحبّه

٩- ثم قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: (ومنهم: من لم يعرف التوحيد، ولم ينكره):

فأقول: هذا كالذي قبله، لم يرفعوا رأسا بما خلقوا له من الدين الذي بعث الله به رسله[1]، وهذه الحال حال من قال الله فيهم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

❀❀❀

(١) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

«أكثر الناس علم أنّ التوحيد حقّ والشرك باطل، ولكن أعرض عنه ولم يسأل».

انتهى من «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ٧٥).

وقال في «نواقض الإسلام»:

«العاشر: الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]».

وانظر: شرح النواقض (ص/ ٣٤، ٣٥).

١٠- وقوله - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: (ومنهم - وهو أشد الأنواع خطرا -: من عمل بالتوحيد، ولم يعرف قدره، فلم يبغض من تركه، ولم يكفرهم):

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهو أشد الأنواع خطرا)**، لأنه لم يعرف قدر ما عمل به، فلم يجيء بما يصحح توحيده، من القيود الثقال التي لا بد منها، لما علمت من أنَّ التوحيد يقتضي نفي الشرك، والبراءة منه، ومعاداة أهله، وتكفيرهم مع قيام الحجة عليهم(١)، فهذا قد يغتر بحاله، وهو لم يجيء بما عليه من الأمور التي دلت عليها كلمة الإخلاص نفيا وإثباتا.

---

(١) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

«لا نكفر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو: الشهادتان. وأيضا: نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر».

ثمّ قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - بعد كلام:

«وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفِّر، ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان، الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله.

وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم، الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفِّر ويقاتل؟ ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]».

انتهى من «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/ ١٠٢: ١٠٤).

١١- وكذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومنهم: من ترك الشرك وكرهه، ولم يعرف قدره):

فهذا أقرب من الذي قبله، لكن لم يعرف قدر الشرك، لأنه لو عرف قدره لفعل ما دلت عليه الآيات المحكمات، كقول الخليل: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

وقوله: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا﴾ [الممتحنة: ٤].

فلا بد لمن عرف الشرك وتركه من أن يكون كذلك، من الولاء والبراء، من العابد والمعبود، وبغض الشرك وأهله، وعداوتهم.

وهذان النوعان، هما الغالب على أحوال كثير ممن يدعى الإسلام، فيقع منهم من الجهل بحقيقته ما يمنع الإتيان بكلمة الإخلاص، وما اقتضته على الكمال الواجب الذي يكون به موحِّدا، فما أكثر المغرورين، الجاهلين بحقيقة الدين!

فإذا [عرفتَ ذلك] عرفتَ أن الله كفَّر أهل الشرك، ووصفهم به في الآيات المحكمات، كقوله: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِ﴾ [التوبة: ١٧] وكذلك السنة.

قال شيخ الإسلام - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -[1]: «فأهل التوحيد والسنة، يصدقون الرسل فيما أخبروا، ويطيعونهم فيما أمروا، ويحفظون ما قالوا، ويفهمونه، ويعملون به، وينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ويجاهدون من خالفهم، تقربا إلى الله، وطلبا للجزاء من الله لا منهم. وأهل الجهل والغلو لا يميِّزون بين ما أمروا به ونهوا عنه، ولا بين ما صح عنهم، وما كُذِبَ عليهم، ولا يفهمون حقيقة مرادهم، ولا يتحرون طاعتهم، بل هم جهال لما أتوا به، معظمون لأغراضهم»[2].

قلت: ما ذكره شيخ الإسلام يشبه حال هذين النوعين الأخيرين.

بقي مسألة حدثت، تكلم بها شيخ الإسلام ابن تيمية، وهي: عدم تكفير المعيَّن ابتداء لسبب ذكره - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -، أوجب له التوقف في تكفيره قبل إقامة الحجة عليه.

قال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى** -: «ونحن نعلم بالضرورة، أن النبي ﷺ لم يشرع لأحد أن يدعو أحدا من الأموات، لا الأنبياء، ولا الصالحين، ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة، ولا بغيرها؛ كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت، ولا إلى ميت، ونحو

---

(١) في «الردّ على البكري» والمنقول هنا فيه اختلافات لا تغير المعنى، وكذلك في النقل التالي.

(٢) «الردّ على البكري» (ص/ ٣٢٧ - ط. دار المنهاج)، (ص/ ٣٠٩- مع الرد على الأخنائي).

ذلك.

بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ﷺ، ولكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين، لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين[1] ما جاء به الرسول مما يخالفه»[2]، انتهى.

قلت: فذكر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - ما أوجب له عدم إطلاق الكفر عليهم، على التعيين خاصة، إلا بعد البيان والإصرار، فإنه قد صار أمة وحده؛ لأن من العلماء من كفَّره بنهيه لهم عن الشرك في العبادة[3]، فلا يمكن أن يعاملهم بمثل ما قال، كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - في ابتداء دعوته، فإنه إذا سمعهم يدعون زيدَ بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «الله خير من زيد»، تمرينا لهم على نفي الشرك، بلين الكلام، نظرا إلى المصلحة، وعدم النفرة.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم.

---

(١) وقعت هنا هكذا «يبين» وفي «الردّ على البكري» بطبعتيه «يتبين»، وانتصر غير واحد من أئمة الدعوة إلى أنّ الضبط الأول هو الصحيح. انظر - على سبيل المثال -: «الأسنة والحداد في ردّ شبهات علوي الحداد» (ص/ ١٥٧).

(٢) «الردّ على البكري» (ص/ ٤١١ - ط. دار المنهاج)، (ص/ ٣٧٧- مع الرد على الأخنائي).

(٣) انظر مثالاً لهذا فيما جاء في كلام البكري الذي ردّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى رحمة واسعةً -.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم[1].

❀❀❀

(١) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

«فالله الله يا إخواني، تسمكوا بأصل دينكم، أوّله وآخره، أسّه ورأسه، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيدين»، ثمّ قال: «فالله الله تمسكوا بأصل دينكم لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئًا، اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين».

انتهى من «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ١١٩، ١٢٠).

الفهرس

مقدّمة المعلّق ٥
نبذة عن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ودعوته ٦
أصل دين الإسلام وقاعدته أمران..... ٩
الأول: الأمر بعبادة الله وحده وأدلة على ذلك ١١
معنى «لا إله إلا الله»..... ١١
الإلهية هي العبادة، ولا يصلح شيء منها لغير الله..... ١٣
توحيد العبادة هو دعوة الرسل..... ١٣
التوحيد والشرك ضدان لا يجتمعان..... ١٤
الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله تعالى..... ١٦
تعريف العبادة..... ١٦
التغليظ في الشرك والمعاداة فيه وتكفير من فعله ١٦
أشد المخالفين لأصل دين الإسلام: من قبل الشرك وأنكر التوحيد..... ٢٠
ومن المخالفين: من عبد الله وحده ولم ينكر الشرك ٢١
ومن المخالفين: من عادى المشركين ولم يكفِّرهم ٢٢
ومن المخالفين: من لم يحب التوحيد ولم يبغضه..... ٢٣
ومن المخالفين: من لم يبغض الشرك ولم يحبه ٢٤
ومن المخالفين: من لم يعرف الشرك ولم ينكره ٢٥

من شروط «لا إله إلا الله» ٢٥
ومن المخالفين: من لم يعرف التوحيد ولم ينكره..... ٢٦
من أشد أنواع المخالفين: من عمل بالتوحيد ولم يعرف قدره، ولم يبغض من تركه.. ٢٧
ومن المخالفين: من ترك الشرك وكرهه، ولم يعرف قدره..... ٢٨
بين أهل التوحيد والسنة، وأهل الجهل والغلو ٢٩
الفهرس..... ٣٢

بيان

توحيد رب العالمين

والردّ على شبهات المشركين

للقاضي العلامة

عبد العزيز بن عبد الله الحصين الناصري

وهو من تلاميذ

شيخ الإسلام الإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله وأجزل له الأجر والثواب

عليها تعليقات مختصرة

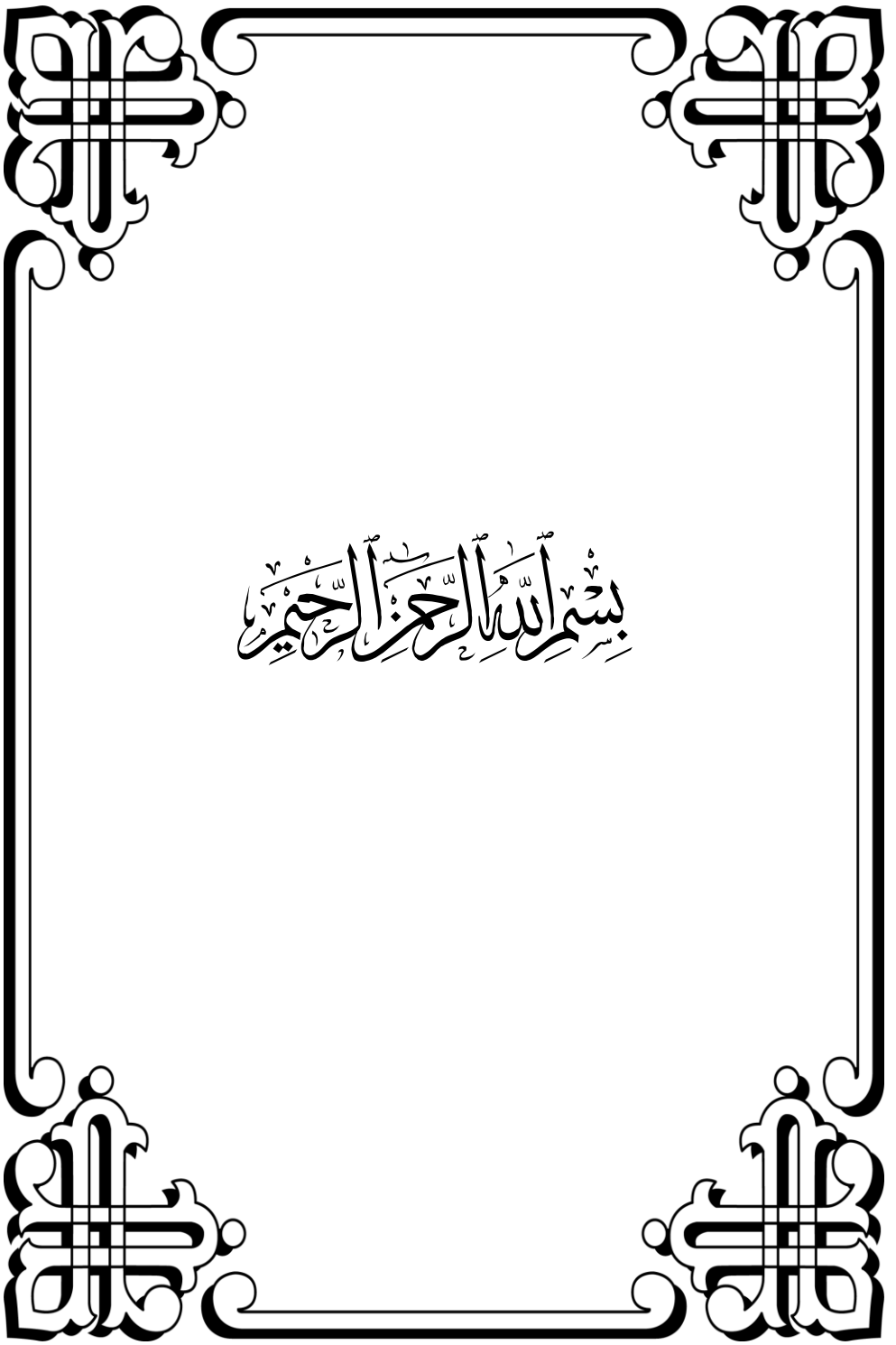
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه.

ترجمة المؤلف[١]

* هو الإمام الشيخ العلامة الفقيه الزاهد الورع القاضي عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الحصين الناصري الحنبلي، رحمه الله تعالى.

* قال الشيخ عثمان بن بشر: «كان -رحمه الله تعالى- عالمًا عاملًا زاهدًا ورعًا حليمًا، لا ينتصر لنفسه[٢]، محببًا إلى الناس، وليس للدنيا عنده قدر ولا يركن إليها ولا يتعاطاها، بل قطع دهره في كتب العلم وطلبه وبذله».

* «وكان رحمه الله فاضلاً مهيبًا فقيهًا؛ وجعل الله في علمه البركة للناس، وانتفع به عدد رجال كثير في جميع النواحي ممن ولي القضاء»[٣].

---

(١) انظر:

١- «عنوان المجد في تاريخ نجد» للشيخ عثمان بن عبد الله بن عثمان بن أحمد بن بشر النجدي - رحمه الله تعالى - (١/ ٤٦٤: ٤٦٨).

٢- «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١٦/ ٣٨٧، ٣٨٨).

(٢) وما أعزّ مثل هذا في الناس.

(٣) على رأسهم الإمام العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين - رحمه الله تعالى -.

* «وكان يحب طالب العلم محبة عظيمة كأنّه ولده بالتودد إليه وتعليمه وإدخال السرور عليه، والقيام بما ينوبه من بيت المال، وكانت كلمته مسموعة وقوله نافذًا عند الرؤساء ومن دونهم، وكان عنده حلقة كبيرة في التدريس من أهل «شقرا» وأهل «الوشم» وغيرهم، وكان مجلسه للتدريس في الفقه وقت طلوع الشمس إلى ارتفاع النهار».

* «ولا يحضر ذلك المجلس عنده أحد غير الطلبة أو اثنين أو ثلاثة من رؤساء أهل «شقرا»، وله مجالس في التدريس غير ذلك للعامّة وقت الظهر والعصر وبين العشاءين»[1].

* أخذ عن عدد أجلهم شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -، قال الشيخ عثمان بن بشر: «أقام مدّة سنين يقرأ عليه، وكان يكرمه ويعظمه، وهو الذي استعمله قاضيًا في تلك الناحية» يريد ناحية الوشم.

* قال في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»: «له مجالس في التدريس مشهورة، وأوقاته بالعبادة معمورة، وله رسالة في معنى التوحيد[2] وفتاوى».

* توفي رحمه الله في الثالث عشر من رجب سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف.

---

(١) كل ما سبق من كلام الشيخ عثمان بن بشر في «عنوان المجد».

(٢) وهي هذه الرسالة التي بين يديك، والتسمية منا وليست من المؤلف - رحمه الله تعالى -، وهي في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ١٧٣: ٢٠٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بالكمال والبقاء والعز والكبرياء، الموصوف بالصفات والأسماء، المنَزه عن الأشباه والنظراء، الذي سبق علمه في بريته بحكم القضاء، من السعادة والشقاء؛ وأكمل لنا ديننا، ولم يجعله ملتبسًا علينا، وتفضل فرضي لنا الإسلام دينًا، فنحمده على ذلك ونشكره، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونتوب إليه ونستغفره، وصلى الله وسلم على المبعوث بالمحجة البيضاء، والشريعة الغراء؛ محمد أفضل الرسل والأنبياء؛ وعلى آله وأصحابه الأتقياء، صلاة وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم البعث والجزاء.

أما بعد: فإن العبادة التي هي اسم جامع، لكل ما يحبه الله ويرضاه، هي الغاية التي خلق الله لها جميع العباد، من جهة أمر الله تعالى، ومحبته ورضاه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات].

وبها أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وذلك أن الدين كله بأنواعه لله وحده، والأمر كله لله، مختص بجلاله وعظمته، ليس للخلق منه شيء البتة، لا ملك، ولا نبي، ولا ولي، بل حق لله تعالى، غير جنس حق المخلوق.

فأما حقه تعالى: فتوحيده وإفراده بعبادته، التي أوجبها تعالى على عباده، وخلقهم ليعملوا بها، وإخلاصها له تعالى وتقدس، بعد نفيها عن غيره؛ وحصرها له وعليه؛ والدعاء بما لا يقدر على جلبه ودفعه إلا الله، مختصا به، لا يجوز أن

يدعى في ذلك غيره تبارك وتعالى، ورجاؤه فيه، والتوكل عليه، وذبح النسك، والنذر لجلب الخير أو دفع الشر، والإنابة والخضوع كله لله، مختص بجلاله، كالسجود والتسبيح والتكبير والتهليل.

قال ﷻ: ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤ ﴾ [الرعد]. وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ ﴾ [الجن].

وقال لنبيه ﷺ(١): ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ ﴾ [يونس: ١٠٦]. وقال تعالى لأفضل خلقه: ﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢ ﴾ [الجن].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ

---

(١) قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ ﴾ [يونس].

قال العلامة السعدي: فإذا كان خير الخلق لو دعا مع الله غيره لكان من الظالمين المشركين فكيف بغيره؟! اهـ. (م)

عَلَيۡهِۚ ﴾ [هود: ١٢٣].

وحق الأنبياء: الإيمان بهم، وبما جاؤوا به، واتباع النور الذي أنزل معهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، وموالاتهم، وتقديم محبتهم على النفس والمال والبنين، والناس أجمعين.

وعلامة التصديق في ذلك: اتباع هديهم، والإيمان بما جاءوا به من عند ربهم، والإيمان بمعجزاتهم، وأنهم بلغوا رسالات ربهم، وأدوا الأمانة، ونصحوا الأمة، وأن محمدا ﷺ خاتمهم، وأفضلهم، وإثبات شفاعتهم، التي أثبتها الله سبحانه في كتابه، وهي من بعد إذن ربهم لهم فيها ممن يرضى عنه من أهل التوحيد، وأن المقام المحمود الذي ذكره الله في كتابه لنبينا محمد ﷺ.

وكذلك حق أوليائه: محبتهم، والترضي عنهم، والإيمان بكرامتهم، لا عبادتهم ليجلبوا لمن دعاهم خيرًا لا يقدر على جلبه إلا الله تبارك وتعالى، ويدفعوا عنهم سوءًا لا يقدر على دفعه أو رفعه إلا الله، لأنه عبادة مختصة بجلاله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر].

فسماه عبادة، وأضافها إلى نفسه؛ وروى النعمان بن بشير [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ

أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى ﴾ الآية [غافر: ٦٠]، رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح(١).

وكل ما في القرآن من دعاء أو دعوة، فهو إما بمعنى: اسألوني أعطكم، كما في هذا الحديث، وكقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦]. وإما بمعنى: امتثال الأوامر، واجتناب المناهي، كما في قوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم﴾ [الشورى: ٢٦]، أي يثيبهم على أحد التفسيرين.

لا أن يتخذوا في ذلك واسطة، بين الله، وبين من دعاهم، ولا سيما في حصول المطلوب، كالواسطة بين السلطان ورعيته؛ فإن ذلك دين المشركين الذين قال الله فيهم: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ الآية [سبأ]. وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الإسراء].

وإنما ذكر الله ذلك عنهم، لأنهم يدعون الملائكة والأنبياء، ويصورون صورهم محبة لهم، ويرجونهم ويلتجئون إليهم ليشفعوا لهم فيما دعوهم فيه.

---

(١) هو في «سنن أبي داود» و«جامع الترمذي» بلفظ: «**الدعاء هو العبادة**» وإسناده صحيح. (م)

وذلك بطرق مختلفة؛ ففرقة قالت: ليس لنا أهلية مباشرة دعاء الله ورجائه، بلا واسطة تقربنا إليه، وتشفع لنا عنده، لعظمته.

وفرقة قالت: الأنبياء والملائكة ذوو وجاهة عند الله، ومنْزلة عنده، فاتخذوا صورهم من أجل حبهم لهم، ليقربوهم إلى الله زلفى.

وفرقة: جعلتهم قبلة في دعاء الله.

وفرقة قالت: إن على كل صورة مصورة على صور الملائكة والأنبياء وكيلاً موكلاً بأمر الله، فمن أقبل على دعائه ورجائه، وتبتل إليه، قضى ذلك الوكيل ما طلب منه بأمر الله، وإلا أصابته نكبة بأمره.

فالمشرك إنما يدعو غير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ويلتجئ إليه فيه ويرجوه منه، لما يحصل له في زعمه من النفع.

وهو لا يكون إلا فيمن وجدت فيه خصلة من أربع: إما أن يكون مالكًا لما يريد منه داعيه، فإن لم يكن مالكًا، كان شريكًا؛ فإن لم يكن، كان ظهيرًا، فإن لم يكن ظهيرًا، كان شفيعًا. فنفى الله سبحانه هذه المراتب الأربع عن غيره نفيًا مرتبًا، منتقلًا من الأعلى إلى الأدنى.

فنفى الملك عن غيره، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة، التي لأجلها وقعت العداوة والمخاصمة، بقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى

ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء]، ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ [المؤمنون: ٨٨]. وقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقوله: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر]. وقوله: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الانفطار]. وقوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة]، وقوله: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [طه]، وقوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ].

فأثبت ﷻ ما لا نصيب فيها للمشرك البتة، وهي الشفاعة بإذنه لمن رضي عنه سبحانه، الذي يعلم السر وأخفى، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

ولهذا لما قالت الصحابة ﭫ: يا رسول الله، أربنا قريب فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ الآية[1] [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ ﴾ [الزمر].

---

(١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق الصلت بن حكيم عن أبيه عن جده، والصلت مجهول، وراجع ترجمته في «لسان الميزان». (م)

وقال: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ الآية [الأنعام: ٥١].

فليس الموحد إلا من اجتمع قلبه ولسانه على الله، مخلصًا له تعالى ألوهيته المقتضية لعبادته، بمحبته، وخوفه، ورجائه، ودعائه، والاستعانة به، والتوكل عليه، وحصر الدعاء بما لا يقدر على جلبه أو دفعه عنه إلا الله وحده، والموالاة في ذلك، والمعاداة فيه، وأمثال هذا، عالمًا بالفرق، بين حق الخالق، والمخلوق، من الأنبياء، والأولياء، مميزًا بين الحقين؛ وذلك واجب في علم القلب، وشهادته، وذكره، ومعرفته، وفي حال القلب أيضًا، وعبادته، وقصده، وإرادته، ومحبته، وموالاته، وطاعته.

فهذا من تحقيق معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن معنى الإله عند الأولين: ما تألهه القلوب بالمحبة التي كحب الله، والتعظيم، والإجلال، والخضوع، والرجاء، والالتجاء، والتوكل، والدعاء، بما هو مختص بالله، وذبح النسك له.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقرة: ١٦٥]، وقالوا لمن أحبوه كحب الله ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء]، وهم ما ساووهم به في الصفات، ولا في الذات ولا في الأفعال، كما حكى الله عنهم في الآية، في قوله: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية [يونس: ٣١]، وقوله: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ

وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ الآيات [المؤمنون].

والشاهد لله، بأنه لا إله إلا هو، وقائلها نافيًا في قلبه ولسانه ألوهية كل ما سواه من الخلق، ومثبتًا الألوهية لمستحقها، وهو الله المعبود بالحق، فيكون معرضًا عن ألوهية جميع المخلوقات، مقبلًا على عبادة رب الأرض والسماوات؛ وذلك يتضمن اجتماع القلب في عبادته ومعاملته على الله تعالى، ومفارقته في ذلك ما سواه، فيكون مُفَرّقًا في علمه وقصده، وشهادته وإرادته، ومعرفته ومحبته، بين الخالق والمخلوق؛ بحيث يكون عالمًا بالله، ذاكرًا له، عارفًا به، وأنه تعالى مباين لخلقه، منفرد عنهم، بعبادته وأفعاله وصفاته.

فيكون محبًّا له، مستعينًا به لا بغيره، متوكلًا عليه لا على غيره، ممتنعًا عن دعاء غيره بما لا يقدر على إيجاده أو دفعه أو رفعه إلا الله؛ فلا يجعل ما هو مختص بجلاله تعالى لغيره، وهذا المقام هو المعني في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة].

وهذا من خصائص ألوهيته تعالى، التي يشهد له بها عباده المؤمنون؛ كما أن رحمته تعالى لعبيده، وهدايته إياهم، وخلق السماوات والأرض وما بينهما، وما فيهما من الآيات، من خصائص ربوبيته التي يشترك في معرفتها المؤمن والكافر، والبر والفاجر؛ حتى إبليس عليه اللعنة، معترف بها في قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الحجر]. وقوله: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحجر].

وأمثال هذا الخطاب الذي يعرف فيه بأن الله ربه وخالقه ومليكه، وأن ملكوت

كل شيء في يده تعالى وتقدس، وإنما كفر بعناده، وتكبره عن الحق، وطعنه فيه، وزعمه أنه فيما ادعاه وقاله، محق، وكذلك المشركون الأولون يعرفون ربوبيته تعالى، وهم له بها يعترفون.

قال الله ﷻ آمرا نبيه ﷺ أن يسألهم عن ربهم الذي خلقهم، ورزقهم، ويحييهم، ويميتهم، ويدبر أمورهم كلها، فإذا عرفوه واعترفوا به، استحق أن يخص بألوهيته، فلا يدعوا مع الله إلهًا آخر، بل يتركوا تلك الآلهة التي يدعونها ويرجونها، وينسكون لها، لتقربهم إلى الله زلفى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ الآية [يونس: ٣١]. وقال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦١].

فهم قد أقروا واعترفوا بأن الله سبحانه: خالق الأشياء كلها، وموجدها، ومالكها، وأنه النافع، الضار، المعطي، المانع، الذي لا رازق سواه، ولا قابض، ولا باسط إلا هو وحده لا شريك له في ذلك، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ

فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ الآية [لقمان: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[العنكبوت]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾[المؤمنون]. وقال: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴾ الآيات [الشعراء].

وروى الإمام أحمد في مسنده، والترمذي، من حديث حصين بن منذر: أن رسول الله ﷺ قال: «**يا حصين كم تعبد؟**» قال؛ سبعة، ستة في الأرض، وواحد في السماء، قال: «**فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك؟**» قال: الذي في السماء، فقال له رسول الله ﷺ: «**أسلم حتى أعلمك كلمات، ينفعك الله بهن**» فأسلم، فقال: «**قل اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي**»(١).

فمجرد معرفتهم ربوبيته تعالى، واعترافهم بها، لم تنفعهم ولم تدخلهم في الإسلام، مع جعلهم مع الله آلهة أخرى يدعونها ويرجونها، لتقربهم من الله زلفى،

---

(١) أخرجه الترمذي وغيره من طريق أبي معاوية الضرير عن شبيب بن شيبة عن الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، وهو ضعيف، شبيب بن شيبة في حديثه ضعف، والكلام في سماع الحسن من عمران بن حصين رضي الله عنهما مشهور.

والإمام أحمد لم يخرجه من هذا الطريق إنّما أخرجه هو وغيره من طريق منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، ولم يُذكر فيه محل الشاهد. (م)

وتشفع لهم عند الله، فبذلك كانوا مشركين في عبادته، ومعاملته، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم: لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك.

وقد وصف الله سبحانه، دين المشركين، الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة]. وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر]. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر].

وسيظهر تعالى المحق على المبطل، بحكمه بين الفريقين غدًا، كما قال تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٣].

وفي صحيحَيْ البخاري ومسلم، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**». قال: قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**». قال: قلت: ثم أى؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»، فأنزل الله تصديقها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآية [الفرقان: ٦٨].

فبين النبي ﷺ أن أعظم الذنب: الشرك بالله الذي هو جعل الأنداد واتخاذهم من خلقه ليقربوهم إليه.

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**»، فدين الله وسط، بين الغالي فيه، والجافي عنه.

والشرك شركان؛ شرك أكبر، وهو: الذي تقدم بيانه آنفًا، فهو محبط للأعمال، موجب للخسران والخلود في النيران، إلا بالتوبة منه والرجوع إلى دين الإسلام.

وشرك أصغر: كالرياء، والسمعة، ففي صحيح مسلم، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺقال: «**قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه غيري، تركته وشركه**».

ومنه: الحلف بغير الله، روى الإمام أحمد، وأبو داود من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال رجل: ما شاء الله وشئت، قال: «**أجعلتني لله ندا؟ قل: ما شاء الله وحده**»[1].

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه والنسائي في «الكبرى» من حديث ابن عباس ﷺ وفي إسناده الأجلح بن عبد الله الكندي وفيه ضعف، ولمعناه شواهد، أما الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم من حديث ابن عمر ﷺ فهو حديث «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**». (م)

وروى الإمام أحمد في مسنده: أن رجلًا أتي به قد أذنب ذنبًا، وهو أسير، فلما وقف بين يدي النبي ﷺ قال: اللهم إني أتوب إليك، ولا أتوب إلى محمد، فقال النبي ﷺ: «**عرف الحق لأهله**»(١).

والشرك الأصغر: ذنب تحت المشيئة، كسائر الذنوب(٢)، بل هو أكبرها، لعموم قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٨]، وحديث: «**أي الذنب أعظم**»، ولكن لا يكفر مرتكبها ولا يخرج عن الملة الإسلامية، إذا لم يستحل فعلها.

فلم يبق إلا التوسل بالأعمال الصالحة، كتوسل المؤمنين بإيمانهم، في قولهم: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وكتوسل أصحاب الصخرة المنطبقة عليهم، وهم الثلاثة النفر، توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة التي تقربهم وتحببهم إلى ربهم، رواه البخاري في صحيحه(٣)؛ لأنه وعد أنه يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله.

وكسؤاله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم والطبراني وغيرهم من طريق محمد بن مصعب القرقساني عن سلام بن مسكين ومبارك بن فضالة عن الحسن بن الأسود بن سريع ﷺ، وإسناده ضعيف.(م)

(٢) وعند بعض أهل العلم ليس الشرك الأصغر مما يدخل تحت المشيئة، بل هو ملحق بالشرك الأكبر في عدم المغفرة، وإن كان صاحبه - أي الشرك الأصغر - لا يخلد به في النار على ما هو مُفَصَّل عند أهل العلم. (م)

(٣) القصة في «الصحيحين» من حديث ابن عمر ﷺ عن رسول الله ﷺ. (م)

﴿ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وكالأدعية المأثورة في السنن: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، الحنان المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام» وأمثال ذلك.

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، فإنها القربة التي تقرب إلى الله، وتقرب فاعلها منه، وهي: الأعمال الصالحة، كما روى البخاري في صحيحه، من حديث أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: من عادى لي وليا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها. ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» الحديث بتمامه.

ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا همه أمر فزع إلى الصلاة، فإنها أعظم التقرب إلى الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥].

وليست الوسيلة بمخلوق يبتغى، ليجعل واسطة بينه وبين خلقه، يتقربون به إليه، لأن هذا عين ما نهى الله عنه في الآيات، وأنزل بقبحه الكتب، وأرسل الرسل، وهو ما قالت بنو إسرائيل لموسى، صلاة الله وسلامه عليه، يا موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة؛ فإن قصدهم يتقربون به إليه.

وأما الإقسام على الله بمخلوق، فهو منهي عنه باتفاق العلماء، وهل هو منهي عنه، نهي تنْزيه، أو تحريم؟

على قولين[١]، أصحهما أنه كراهة تحريم[٢].

قال بشر بن الوليد، سمعت أبا يوسف يقول، قال أبو حنيفة ﷺ تعالى: لا ينبغي لأحد أن يدعو إلا به، وأكره: «بمعاقد العز من عرشك»، «وهو حق خلقك»؛ وقال أبو يوسف: «معاقد العز»: هو الله، فلا أكره هذا؛ وأكره: «بحق فلان»، أو «بحق أنبيائك ورسلك»، و«بحق البيت والمشعر الحرام».

قال ﷺ: المسألة بحق المخلوق لا تجوز لهذا، فلا يقول: أسألك بفلان أو بملائكتك أو أنبيائك، ونحو ذلك، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق[٣].

---

(١) القولان للمتأخرين، أما السلف فلا خلاف في هذا عندهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ردّه على البَكْري: لم يُنقل عن أحد من السلف أنّه توسل إلى الله بميت في دعائه ولا أقسم عليه به، وقال: ما زلت أبحث وأكشف ما أمكنني من كلام السلف والأئمة والعلماء، هل جوز أحد منهم التوسل بالصالحين في الدعاء أو فعل ذلك أحد منهم فما وجدته؛ اهـ. (م)

(٢) فهو محرم قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب – رحمهم الله تعالى – كما في «الدرر السنية»: حكى ابن القيم – ﷺ تعالى – أنّه بدعة إجماعًا؛ اهـ. (م)

(٣) يريد: لا حق للمخلوق على الخالق بهذا المعنى، والله أعلم، وفي الحديث: «**حق العباد على الله ألا يعذّب من لا يشرك به شيئًا**»، قال شيخ الإسلام في «قاعدة جليلة في التوسل

وقال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا﴾ الآية [الجاثية: ١٠]، فإذا والى العبد ربه وحده، أقام له وليًّا من الشفعاء، وعقد الموالاة بينه وبين عباده المؤمنين، فصاروا أولياءه في الله؛ بخلاف من اتخذ مخلوقًا من دون الله، فهذا لون، وذاك لون؛ كما أن الشفاعة الشركية الباطلة نوع، والشفاعة الحق الثابتة التي إنما تنال بالتوحيد نوع؛ وهذا موضع فرقان، بين أهل التوحيد، وأهل الشرك بالله؛ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ومما استدل به الذين يدعون مع الله غيره في المهمات من أهل القبور والأموات، ويقولون: المراد الوسيلة: «اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد، نبي الرحمة؛ يا محمد إني، أتوجه بك إلى ربي، في حاجتي هذه لتقضى، اللهم شفعه في» رواه الترمذي، والحاكم، وابن ماجه، عن عثمان بن حنيف، قال: جاء رجل ضرير إلى النبي ﷺ، فقال: ادع الله لي أن يعافيني، فقال: «**إن شئت اخترت لك، وهو خير، وإن شئت دعوت لك**». قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء؛ قال الحاكم: صحيح[1].

والوسيلة»: هذا حق أوجبه الله تعالى، وليس للمخلوق أن يوجب على الخالق تعالى شيئًا؛ اهـ. (م)

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم وغيرهم وصححه جمع، وتكلم بتضعيفه غير واحد، انظر مثلاً: «صيانة الإنسان»، وأما الرواية التي فيها وقوع هذا في خلافة عثمان بن عفان ﷺ فقد رواها الطبراني والبيهقي في الدلائل وغيرهما ولا تصح كما شرحه مفصلاً غير

وهذا الحديث دليل للشيخ: محمد بن عبد الوهاب، ﷺ تعالى، لا عليه، لوجوه:

الأول: أنه في غير محل النِّزاع، بل اختراع منكر، ووردت الأحاديث بحرمته، وهو عمارة القبور، وإلقاء الستور عليها، وتسريجها، وهذه كلها كبائر كما قال أهل العلم، حتى ابن حجر الهيتمي[1]، وغيره؛ إن حدها[2]: كل ما أتبع بلعنة، أو غضب، أو نار.

روى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

ولمسلم: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

وفي صحيحه: عن جندب بن عبد الله البجلي ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ قبل: أن يموت بخمس، وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا. ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم، كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا**

واحد من أهل العلم. يريد أنّ النزاع ليس فيما يدل عليه هذا الحديث وإنما في أمر مخترع منكر وهو عبادة القبور. (م)

(١) يعني أنّ ابن حجر الهيتمي مع قبوريته وضلاله قد عدَّ هذه الأشياء من الكبائر في كتابه «الزواجر عن اقتراف الكبائر». (م)

(٢) هذا حد الكبائر عند غير واحد. (م)

فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[١].

وعن عائشة أم المؤمنين ﵂، وعبد الله بن عباس، ﵄، **قال**: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا، متفق عليه.

وروى الإمام أحمد في مسنده، بإسناد جيد، عن عبد الله بن مسعود ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**إن من شرار الناس، من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**»[٢]، وعن ابن عباس﵄ قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد، والسرج» رواه الإمام أحمد، وأهل السنن[٣].

وهذا حال من سجد لله عند قبر، فكيف بمن سجد للقبر نفسه أو دعاه، وعدل عن أوضاع الشرع، إلى تعظيم أوضاع الجهال والطغام، وضعوها لأنفسهم بتلبيس إبليس عليهم، فسهلت لهم، وطابت بها قلوبهم، من تعظيم القبور

---

(١) تمامه في صحيح مسلم: «**ألا وإنّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**». (م)

(٢) والشطر الأول من الحديث في صحيح البخاري. (م)

(٣) الحديث بهذا اللفظ لا يصح، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم، وفي إسناده أبو صالح – باذام – مولى أم هانئ وهو ضعيف، ولم يسمع من ابن عبّاس. (م)

وإكرامها بما نهى عنه الشرع، من عبادتها بدعائها، ورجائها، والالتجاء إليها، والتوكل عليها، والنذر لها، وكتب الرقاع فيها، وخطاب الموتى بالحوائج: «يا سيدي، يا مولاي: افعل بي كذا وكذا»؛ وأخذ ترابها، وجعل الخرق عليها تبركًا، وإيقاد السرج عليها، وتقبيلها، وتحليتها، وشد الرحال إليها؛ وينضاف إلى ذلك إلقاء الخرق على الشجر، ودعاؤها، والذبح والنذر لها، اقتداء بمن عبد اللات والعزى؛ والويل كل الويل عندهم لمن عاب أو أنكر عليهم.

ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور، وما أمر ونهى، وما كان عليه أصحابه، وبين الذي عليه أكثر الناس اليوم، رأى أحدهما مضادًّا للآخر، مناقضًا له، بحيث لا يجتمعان أبدًا؛ ودعاء المقبور عند المهمات شرك بالله ﷻ قد ذكرنا أدلته فيما تقدم.

وإن كان سبب قول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة]، مجيء حبر من اليهود، إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، وقوله: نعم القوم أنتم، لولا أنكم تجعلون لله أندادًا؛ فتقولون: ما شاء الله وشاء فلان، فقال ﷺ: «**أما إنه قد قال حقًّا**»، وأنزل الله ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ الآية [البقرة: ٢٢][1].

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه والدارمي وغيرهم بمعناه من حديث الطفيل بن سخبرة ﷺ بدون ذكر نزول الآية وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» إلى ابن سعد من حديث قتيلة بمعناه أيضًا بدون ذكر نزول الآية. (م)

وممن أخرج[١] الحديث: جلال الدين السيوطي[٢] في: الدر المنثور، في تفسير الآية، وعن قتيلة -امرأة من جهينة- قالت: أتى يهودي إلى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون وتشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت؛ وتقولون: والكعبة؛ فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: ورب الكعبة، وما شاء الله، ثم شئت؛ رواه النسائي[٣].

وقد أقر النبي ﷺ قول اليهودي: إن هذا شرك، فكيف حال من نادى عند المهمات غير الله؟ إذ هو داخل تحت قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وهؤلاء يحب أحدهم مُعْتَقَدَهُ[٤] أكثر من حب الله، وإن زعم أنه لا يحبه كحب الله، فشواهد الحال تشهد عليه بذلك؛ فإنه يعظم القبر أعظم من بيت الله، ويحلف بالله كاذبًا، ولا يحلف بمعتقده؛ ويحلف بالله تعالى في أي محل، ولا يحلف بمعتقد يعتقده؛ فلا جامع بين ما استدلوا به، وبين ما نهاهم عنه محمد بن عبد الوهاب،

---

(١) الصواب أن يقال هنا: «ذكر» لا «أخرج» لأنّه في «الدرّ المنثور» لا يسوق الأخبار بأسانيده. (م)

(٢) راجع لمعرفة شيء من حاله «القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ﷺ». (م)

(٣) أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما، وقد أعلّه البخاري كما نقل الترمذي في علله الكبير، وصححه غير واحد لشواهده. (م)

(٤) أي الشخص الذي يعتقد فيه. (م)

عافاه الله تعالى.

الثاني: أن الحديث دليل للشيخ رحمه الله تعالى، أنه لا يدعى غير الله ﷻ، فإن مسألة: «اللهم إني أتوجه إليك»؛ المسؤول الله ﷻ، وإنما توجه إليه بحبيبه المصطفى عنده، ونهايته سؤال الله ﷻ أن يشفعه، فمستهله سؤال الله ﷻ، ونهايته سؤاله سبحانه؛ ووسطه: «يا حبيبنا محمدًا، إنا نتوسل بك إلى ربك، فاشفع لنا».

فهذا خطاب لخاص معين في قوله، كقولنا في صلاتنا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته؛ وكاستحضار الإنسان محبه ومبغضه في قلبه، فيخاطبه بما يهواه لسانه، وهذا كثير في لسان الخاصة، دون العامة، ومعناه: أتوجه إليك بدعاء نبيك وشفاعته المشتملة على الدعاء[1]؛ ولهذا قال في تمام الحديث: اللهم شفعه في؛ وهذا متفق على جوازه.

وقد مضت السنّة أن الحي يطلب منه الدعاء، كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه، سواء كان بلفظ الاستغاثة، أم بغيرها؛ ومنه ما قص الله عن الإسرائيلي المستغيث بموسى على القبطي، في قوله: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ

(١) وهذا لا يجوز إلا في حياته ﷺ. (م)

فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ ﴾ الآية [القصص: ١٥]. وكاستشفاع الأمة من أهل الموقف بالأنبياء، والطواف عليهم، يسألونهم أن يشفعوا إلى الله من أهل الموقف عامة(١).

وأما: المخلوق الغائب أو الميت، فلا يستغاث به، ولا يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله البتة؛ وهذا موافق لقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. وإنما غاية طلب الشفاعة عند الله ﷻ أن يشفع نبيه فيه، وهو ﷺ قد انتقل من هذه الدار إلى دار القرار، بنص الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

ولهذا استسقى أصحابه بعمه العباس بن عبد المطلب، وسألوه أن يدعو لهم في الاستسقاء عام القحط، أخرجه البخاري، عن أنس بن مالك ﷺ في: «باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا»(٢)؛ ولم يأتوا إلى قبره، ولا وقفوا عنده، مع أنه ﷺ حي في قبره حياة برزخية، أعلى من حياة الشهداء(٣).

وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان، على أن النبي ﷺ لا يسأل بعد موته، لا استغفارًا، ولا دعاءً ولا غيرهما؛ فإن الدعاء عبادة مبناها على التوقيف

---

(١) فالاستغاثة والطلب من غير الله جائز إذا كان المستغاث به حيًّا حاضرًا قادرًا على ما يُطلب منه. (م)

(٢) وهذا التبويب من الإمام البخاري دال على أنّ الاستسقاء بالنبي ﷺ ثمّ بالعباس ﷺ إنما كان بسؤالهما الاستسقاء، لا بطلب السقيا من الله بذاتيهما أو جاهيهما أو حقهما. (م)

(٣) لكنها ليست كحياته ﷺ في الدنيا. (م)

والاتباع، لا على الهوى والابتداع، ولو كان هذا من العبادة، لَسَنَّهُ رسولُ الله ﷺ، ولكان أصحابه أعلم بذلك وأتبع له.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ الآية [النساء: ٦٤]، فإتيانهم له ﷺ للاستغفار مخصوص بوجوده في الدنيا، ولهذا لم يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين، مع شدة احتياجهم وكثرة مدلهماتهم، وهم أعلم بمعاني كتاب الله وسنة رسوله، وأحرص اتباعًا لملته من غيرهم؛ بل كانوا ينهون عنه، وعن الوقوف عند القبر للدعاء عنده؛ منهم الإمام مالك، وأبو حنيفة، وأحمد، والشافعي[1]؛ وهم من خير القرون التي قد نص ﷺ عليها في قوله: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، قال عمران: لا أدري أذكر اثنين أو ثلاثة بعد قرنه، رواه البخاري في «صحيحه»[2].

الثالث: أنهم زعموا أنه دليل للوسيلة إلى الله تعالى بغير محمد ﷺ، فلا دليل فيه أصلًا، لأنهم صرحوا بأنه لا يقاس مع فارق، فلا يجوز لنا أن نقول: اللهم إنا نسألك ونتوجه إليك برسولك نوح، يا رسول الله، يا نوح... إلى آخره، ولا أن

(١) لم يذكر إلا الأربعة لأنّ عامّة المتأخرين انتسابهم إليهم. (م)

(٢) ومسلم من طريق شعبة عن أبي جمرة عن زهدم بن مضرب عن عمران بن حصين رضي الله عنهما. (م)

نقول: اللهم إنا نسألك، ونتوجه إليك بخليلك إبراهيم، إلى آخره، ولا أن نقول: بكليمك موسى، ولا بروحك عيسى.

ونحن نقول: إن الجامع في نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الرسالة؛ وفي إبراهيم، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الخلة مع الرسالة؛ وفي موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الكلام مع الرسالة؛ وفي عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كونه روح الله وكلمته مع الرسالة؛ فليس لنا هذا، لأنه أولًا: لم يرد، ولا حاجة لنا إلى فعل شيء لم يرد؛ ثانيًا: إنما أبيح القياس عند من يقول به للحاجة في حكم لم يوجد فيه نص[1]؛ فإذا وجد النص، فلا يحل القياس عند من يقول به، ولا حاجة بنا إلى قول هو مخترع، خصوصًا مع ما ورد في الشرك، وأنه في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل.

الرابع: أن الوسيلة ليست هي أن ينادي العبد غير الله ويطلب حاجته التي لا يقدر على وجودها إلا الله، ممن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، ولا موتًا، ولا حياةً، ولا نشورًا، ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الحج: ٧٣]، بل هذا شرك بالله؛ وجعلوا دليلهم مع ما تقدم، بعد ارتكابهم أكبر المناكر، قوله ﷺ: «يا

(١) قال الإمام الشافعي رحمه الله في أواخر «الرسالة»: نحكم بالإجماع ثم القياس، وهو أضعف من هذا، ولكنها منزلة ضرورة، لأنّه لا يحلّ القياس والخبر موجود؛ اهـ. (م)

عباد الله أعينوني»، وقوله: «يا عباد الله احبسوا»[1].

وهذا من جملة الجهل والضلال، وإخراج المعاني عن مقاصدها، من وجوه:

الأول: أن هذه ليست بوسيلة أصلًا، إذ معنى الوسيلة: ما يتقرب به من الأعمال إلى الله ﷻ، وهذا ليس بقربة، لأنه ورد في أذكار السفر: أن العبد إذا أراد عونًا، بمعنى أنه إذا **أعيي** من حمل متاعه، أو انفلتت دابته، فقد جعل الله عبادًا من صالحي الجن أو من الملائكة، أو ممن لا يعلمه من جنده سواه ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، واستعماله في كل المهمات، من أعظم الجور؛ وإن أراد فيما ورد الحديث به خاصة امتثال قول رسول الله ﷺ فقد يكون بهذه الإرادة قربة.

ولا دلالة فيه أن ينادي عبد القادر الجيلاني من قطر شاسع، بل ولا من عند قبره، ولا ينادي غيره، لا الأنبياء، ولا الأولياء، إنما غايته أن العبد يقول، كما قال رسول الله ﷺ: «يا عباد الله»[2]، وإذا نادى شخصًا باسمه، معينًا، فقد كذب على رسول الله ﷺ ونادى من لم يؤمر بندائه، وليس ذلك في كل حركة وسكون، وقيام وقعود؛ وإنما أبيح له ذلك، إن أراد عونا على حمل متاعه، على الدابة، أو انفلتت.

---

(١) الشيخ - رحمه الله تعالى - لا يثبت هذين الحديثين عن رسول الله ﷺ، وإنّما يذكر كلام المخالفين. (م)

(٢) هذا على فرض صحة الحديث. (م)

الثاني: أن الحديثين غير صحيحين؛ أما الأول: فرواه الطبراني في الكبير بسند منقطع، عن عتبة ﷺ[1]، وحديث: انفلات الدابة، عزاه النووي لابن السني، وفي إسناده: معروف بن حسان، قال ابن عدي: منكر الحديث[2]؛ ولا دليل في الحديثين، مع ضعفهما، ولا في الحديث المتقدم قبلهما، على شيء يفعله عباد القبور، من دعائها، ورجائها، والتوكل عليها، والذبح، والنذر لها، والهتف بذكر من فيها، عند الشدائد.

الثالث: أن الله قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣]، فبعد أن أكمله بفضله ورحمته، فلا يحل لنا أن نخترع فيه ما ليس منه، ونقيس ما لا يقاس عليه.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير من طريق عبد الرحمن بن شريك عن أبيه شريك بن عبد الله عن عبد الله بن عيسى عن ابن علي – وهو زيد – عن عتبة بن غزوان عن النبي ﷺ قال: «إذا أضل أحدكم شيئًا أو أراد أحدكم غوثًا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله أغيثوني، يا عباد الله أغيثوني، فإنّ لله عبادًا لا نراهم»، وهذا الحديث لا يصح لضعف عبد الرحمن بن شريك وأبيه، وللانقطاع بين زيد بن علي وعتبة ﷺ. (م)

(٢) أخرجه الطبراني وأبو يعلى وابن السني في «عمل اليوم والليلة» من طريق معروف بن حسان السمرقندي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا علي، يا عباد الله احبسوا علي، فإنّ لله في الأرض حاضرًا سيحبسه عليكم»، وهذا الحديث لا يصح لضعف معروف بن حسان، وللانقطاع بين ابن بريدة وابن مسعود ﷺ. (م)

الرابع: أن الحديث الصحيح ما رواه العدل الضابط عن مثله، من غير شذوذ ولا علة، فكيف يعمل بالحديث المتكلم فيه، فيما لا يدل عليه دلالة مطابقة، ولا تضمن، ولا التزام؟! فهذا هو البهتان.

الخامس: أنهم عَمَّرُوا مواقفهم بذكر من يعتقدونه، ونسبوا الأفعال إليهم، وكل أحد يذكر ما وقع له من الاستغاثة بفلان، ومن أنجده، وكشف شدته، فإذا قال أحد: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: ٨٣]، ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور]، قامت عليه الجماعة، وقالوا: معلوم ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس].

فإذا قال: نعم، وليس بيد أحد منهم ملكوت خردلة، والله يقول: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر]. والقطمير: القشرة اللطيفة تكون على النواة، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾[فاطر: ١٤].

فإذا كان فيهم من يدعي العلم والإنصاف، وهو واسع الصدر، يقول: هذه الآية نزلت في عباد الأصنام؛ فإذا قيل له: نعم، الأصنام: ود، وسواع، ونسر أسماء رجال صالحين؛ وهذه الخرق على التوابيت، هي: فعل عباد الأصنام، «وأسماء

رجال صالحين»[1]؛ وقد قرر أهل العلم: أن العام لا يقصر على السبب[2].

ولا يحل إلا أن نؤدي الأمانة، فإذا قيل: أدوا الأمانة، فإنه تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾ [النساء: ٥٨]، فلا نقول: هذه نزلت في مفتاح باب الكعبة، فلا نحتج بها.

كذلك لا نقول: هذه نزلت في عباد الأصنام، ونفعل فعلهم، ونقول: لسنا بمشركين.

وفي الأحاديث القدسية عن سيد البرية: «قال الله ﷻ: إني والجن والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي» أخرجه الترمذي، والبيهقي في «شعب الإيمان»، عن أبي الدرداء ﷺ[3]، فيجيب بأن الأمة مطبقة على هذا، والأمة لا تجتمع على ضلالة، يلزم من هذا تضليل الأمة وتسفيه الآثار.

فيجاب عليه: أما إن الأمة مطبقة على هذا، فكذب على الأمة، وليست بمطبقة

---

(١) هذه الجملة هكذا في الرسالة، ولعلها زائدة. (م)

(٢) أي: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قال الشيخ حافظ الحكمي في «وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول»:

وَبِعُمُومِ اللَّفْظِ فِي الْحُكْمِ اعْتُبِرْ لَا بِخُصُوصِ سَبَبٍ إِذَا ذُكِرْ. (م)

(٣) لم يروه الترمذي، وإنما أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» والطبراني في مسند الشاميين وغيرهما، وإسناده منقطع ضعيف. (م)

على هذا؛ وهذه كتب الفروع في كل مذهب، وكتب الحديث والتفسير، ليس فيها أنه يدعى غير الله ﷻ، ولا يسن، ولا يستحب، ولا ينبغي، ولا يجوز، ولا يباح؛ بل الآيات البينات، والأحاديث، وأقوال العلماء ترشد إلى أن هذا شرك محقق؛ والله تعالى يقول لرسوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]. ويقول: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

السادس: قد اختلف في التوسل إليه بشيء من مخلوقاته[١]، فقال أبو محمد بن عبد السلام[٢] في فتاويه: إنه لا يجوز التوسل إليه بشيء من مخلوقاته، لا الأنبياء، ولا غيرهم، وتوقف في حق نبينا ﷺ لاعتقاده أنه ورد في ذلك حديث[٣]، وأنه لم يعرف صحة هذا الحديث؛ وتقدم قول أبي حنيفة وأصحابه، رحمهم الله تعالى.

---

(١) هذا الاختلاف وقع عند المتأخرين ولا ذكر له عند السلف، وراجع ما تقدّم. (م)

(٢) وقد كان عفا الله عنه أشعريًّا صوفيًّا. (م)

(٣) ونص كلامه بعد أن ذكر حديث عثمان بن حنيف: هذا الحديث إن صح فينبغي أن يكون مقصورًا على رسول الله ﷺ لأنّه سيد ولد آدم، وألا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء لأنّهم ليسوا في درجته، وأن يكون هذا مما خص به تنبيهًا على علو درجته ومرتبته؛ اهـ.

وقد تقدّم أنّ الذي في الحديث طلب الدعاء من الحيِّ الحاضر القادر وأن هذا ليس خاصًّا بالنبي ﷺ، وأمّا الإقسام على الله أو التوسل إليه بأحد من المخلوقين فلا يجوز برسول الله ﷺ ولا بغيره. (م)

السابع: أنهم يشترون أولادهم ممن يعتقدونه، ويجعلون له النذور، وإذا جاء المولود، جعلوا لمن ينتسب إلى ذلك المعتقد طعامًا، وقد أوحى إليهم الشيطان أن يجعلوا زوايا لمن يعتقدونه، وفيها جماعة ينسبون أنفسهم إلى ذلك، كالعلوانية، والقادرية، والرفاعية، وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، بل قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، في الكتب المنَزلة، كالتوراة، والإنجيل، وفي هذا القرآن؛ فاستبدلوا الذي هو أدنى، بالذي هو خير.

وإذا مرض هذا المشترى من المعتقد، نذر أهله النذور، ولم يزل يستغيث به ليشفي سقمه، ويكشف شدته، ولم يلتزموا في فعلهم هذا أن يكون المشترى منه الولد ميتا في تلك البلدة؛ بل يشتري أهل مكة أولادهم من عبد القادر الجيلاني، ومن الجبرتي، المدفون في زبيد؛ ويجهلون قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران: ٦]، فإن الشراء ممن يملك الشيء.

وهذا الأمر سار في العلماء[1] والجهال؛ فهم قد غلبت عليهم العوائد، وسلبت عقولهم من تفهم المراد والمقاصد، ولم يجدوا هذا في كتاب فروع أحد من الأئمة، -صانهم الله عن هذه الوصمة-، فما استدلوا به مما تقدم، لا يكون دليلًا على التوسل بالأموات، المعلوم حالهم أنهم في أعلى الجنان، فكيف غيرهم، ممن لا يعلم حاله،

(١) يريد من يُقال إنّهم علماء. (م)

ولا يدرى أين مآله؟ أم كيف يكون دليلا على دعاء غير الله تعالى، في المهمات؟ ويقال: المراد الوسيلة، ويستدل لها بهذا؟! ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور]، وتحريف للكلم عن مواضعه.

فبهذا تبين أن الشيطان اللعين نصب لأهل الشرك قبورًا يعظمونها ويعبدونها أوثانًا من دون الله؛ ثم يوحي إلى أوليائه أن من نهى عن عبادتها واتخاذها أعيادًا، وجعلها -والحالة هذه- أوثانًا، فقد انتقصها وغمصها حقها وسبها؛ فيسعى الجاهلون المشركون في قتالهم وعقوباتهم، وما ذنبهم عند هؤلاء المشركين، إلا أنهم أمروهم بإخلاص توحيده، ونهوهم عن الشرك بأنواعه، وقالوا بتعطيله.

فعند ذلك: غضب المشركون، واشمأزت قلوبهم فهم لا يؤمنون، وقالوا: قد انتقصوا أهل المقامات والرتب، فاستحقوا الويل والعتب، وفي زعمهم أنهم لا حرمة لهم ولا قدر، ويسري ذلك في نفوس الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين، وحب الأولياء وأتباع المرسلين.

بسبب ذلك عادونا، وبالعظائم والكبائر والجرائم الغزار رمونا، ونسبوا كل قبيح إلينا، ونفروا الناس عنا وعما ندعو إليه، ووالوا أهل الشرك وظاهروهم علينا، وزعموا أنهم أولياء الله، وأنصار دينه ورسوله وكتابه.

ويأبى الله ذلك: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤] له، الموافقون له، العارفون به وبما جاء به، والعاملون به، والداعون إليه، لا المتشبعون

بما لم يعطوا، اللابسون ثياب الزور، الذين يصدون الناس عن دينه وهديه وسنته ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٤٥]. ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف]، باتباعه واحترامه والعمل به.

وتعظيم الأنبياء والأولياء، واحترامهم: متابعتهم لهم فيما يحبونه، وتجنب ما يكرهونه؛ وهم: أعصى الناس لهم، وأبعدهم منهم، ومن هديهم ومتابعتهم، كالنصارى مع المسيح، واليهود مع موسى، والرافضة مع علي[1].

وأهل التوحيد أين كانوا، أولى بهم وبمحبتهم، ونصرة طريقتهم وسنتهم، وهديهم، ومنهاجهم، وأولى بالحق قولًا وعملًا، من أهل الباطل؛ فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، والمنافقون والمنافقات، والمشركون والمشركات، بعضهم من بعض.

ومن أصغى إلى كلام الله بكلية قلبه، وتدبره وتفهمه، أغناه عن اتباع الشيطان وشركه، الذي يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وينبت النفاق في القلب، وكذلك من أصغى إليه وإلى حديث الرسول بكليته، وحدث نفسه بهما، وعمل باقتباس الهدى والعلم منه، لا من غيره، أغناه عن البدع والشرك، والآراء والتخرصات، والشطحات والخيالات، التي هي من وساوس الشيطان والنفوس، وتخيلات الهواء والبؤساء.

---

(١) لعنة الله عليهم أجمعين. (م)

ومن بعد عن ذلك، فلا بد أن يتعوض بما لا ينفعه، بل مضرة عليه؛ كما أن من عمر قلبه بمحبة الله وذكره، وخشيته والتوكل عليه، أغناه أيضًا عن عشق الصور؛ وإذا خلا من ذلك، عبد هواه، أي شيء استحسنه ملكه واستعبده.

فالمعرض عن التوحيد عابد الشيطان، مشرك، شاء أم أبى، والمعرض عن السنة مبتدع، شاء أم أبى، والمعرض عن محبة الله وذكره، عابد الصور، شاء أم أبى.

وفي صحيح مسلم، عن أبي الهيَّاج الأسدي، واسمه حيان بن حصين، قال: قال لي علي ابن أبي طالب ﷺ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «ألَّا أدع[1] تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته».

وفي صحيحه أيضًا؛ عن ثمامة بن شُفَي الهمداني قال: كنا مع فضالة بن عبيد، بأرض الروم، فتوفى صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسوي، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها، وقد أمر به وفعله الصحابة، والتابعون، والأئمة المجتهدون.

قال الشافعي في الأم: رأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى على القبور[2]،

(١) في صحيح مسلم: «ألا تدع»، والمذكور لفظ أبي داود. (م)

(٢) نص كلام الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - في «الأم»: وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك؛ اهـ. وما ذكره الشيخ ونقله عن شرح النووي على

ويؤيد الهدم، قوله: «**ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**»، وحديث جابر الذي في صحيح مسلم: «نهى ﷺ عن البناء على القبور»[1]؛ ولأنها أسست على معصية الرسول، لنهيه عن البناء عليها، وأمره بتسويتها.

فبناء أُسِّس على معصيته، ومخالفته ﷺ، بناء غير محترم، وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعًا، وأولى من هدم مسجد الضِّرَار المأمور بهدمه شرعًا، إذ المفسدة أعظم، حمايةً للتوحيد؛ والله المستعان، وعليه التكلان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه وسلم[2].

❀❀❀

مسلم، ونقل الترمذي في جامعه عن الإمام الشافعي قوله: أكره أن يرفع القبر إلا بقدر ما يعرف أنّه قبر لكيلا يوطأ ولا يجلس عليه؛ اهـ. (م)

(١) لفظه في صحيح مسلم عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه. (م)

(٢) ما في هذه الرسالة من تعليقات فهي للشيخ محمد بن إبراهيم المصري. (الناشر)

الفهرس

ترجمة المؤلف ٥
معنى العبادة ٧
حق الله تعالى ٧
حق الأنبياء ٩
علامة تصديق الأنبياء ٩
حق أولياء الله تعالى ٩
الدعاء هو العبادة ٩
بعض حجج المشركين في اتخاذ الوسائط بينهم وبين الله تعالى ١١
نفي الله تعالى الملك عن غيره والشركة والمظاهرة والشفاعة ١١
الموحد يجب أن يكون مميزًا وعالمًا بالفرق بين حق الله وحق المخلوق من الأنبياء والأولياء ١٣
معنى شهادة أن لا إله إلا الله ١٣
خصائص ربوبيته تعالى يشترك في معرفتها المؤمن والكافر حتى إبليس ١٤
الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية ١٥
أعظم الذنب هو الشرك بالله تعالى ١٨
بعض صور التوسل المشروع ١٩
معنى قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ والرد على شبهات المشركين في تأويل معنى الآية ٢٠

الإقسام على الله بمخلوق منهي عنه باتفاق العلماء ٢١
رد المؤلف رحمه الله على استدلال الذين يدعون مع الله غيره بحديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه ٢٣
حد الكبائر عند أهل العلم..... ٢٣
عمارة القبور وإلقاء الستور عليها واتخاذ القبور مساجد من الكبائر..... ٢٣
جواز طلب الدعاء من الحي، وطلب سائر ما يَقْدِرُ عليه..... ٢٧
لا يُسأل النبي ﷺ بعد موته لا استغفارًا ولا دعاءً ولا غيرهما..... ٢٩
لا يجوز التوسّل بالأموات المعلوم حالهم أنّهم في أعلى الجنان، فكيف غيرهم ممن لا يعلم حاله ومآله ٢٩
وجوب تسوية القبور..... ٣٩

رسالة في

بيان معتقد

تلامذة وأحفاد

شيخ الإسلام الإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله وأجزل له الأجر والثواب

للعلامة الشيخ

محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ

عليها تعليقات مختصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه.

هذه الرسالة(*)

للعلامة الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمهم الله تعالى–(**).

وهو ﷺ قد ولد في الرياض سنة ١٢٨٢، ونشأ في بيت علم نشأة حسنة مباركة، قرأ القرآن وحفظه، وشرع في طلب العلم بهمة عالية، فقرأ على علماء الرياض، ومن أبرزهم: أخوه عبد الله بن عبد اللطيف، ومحمد بن محمود، وحمد بن عتيق، وسليمان بن سحمان، حتى نبغ في العلم وتأهل للقضاء، فعين في شقراء، وبعث داعية إلى عسير وغامد وزهران، وجلس للطلب وكان حسن

(*) وقد اعتمدنا في طبعها على:

١- نسخة قديمة مطبوعة في مؤسسة النور بالرياض، قدم لها الشيخ على ابن حمد الصالحي.

٢- «الدرر السَّنية في الأجوبة النجدية» فالرسالة في المجلد الأول (ص/ ٥٦٤: ٥٧٧).

(**) وهو عمُّ الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ –رحمه الله تعالى–.

التعليم واسع الاطلاع يحب جلب الكتب ومشتراها، وتولى قضاء الرياض، وانتهى إليه الإفتاء والتدريس بعد وفاة أخيه عبد الله وغير ذلك.

توفى رحمه الله سنة ١٣٦٧.

انتهى عن «الدرر السَّنية...» (١٦/ ٤٧١).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخليله الصادق الأمين، صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسَلَّمَ تسليمـًا كثيرًا.

من محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، إلى من يراه من أهل القرى ورؤساء القبائل من أهل اليمن وعسير وتهامة وشهران وبني شهر وقحطان وغامد وزهران وكافة أهل الحجاز وغيرهم، هدانا الله وإياهم لدين الإسلام، وجعلنا وإياهم من أتباع سيد الأنام، آمين، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته.

أمـا بعد: فإنه لمـا كان في هذه السَنَة: وهى سَنَة تسع وثلاثين وثلاثمـائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأشرف التحية؛ بعثنا الإمـام المقدم والرئيس المفضل المفخم، صاحب السعادة والسيادة، عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود[1]، أعلى الله سعوده وأدام للمسلمين وجوده، لأجل تعليمكم مـا أوجبه الله عليكم وتعبدكم به من دين الإسلام، الذي معرفته والعمل به

(١) راجع كتاب «عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية ودفاعه عنها». (م)

والبصيرة فيه سبب لدخول الجنة، والجهل به والإعراض عنه وعدم قبوله والانقياد له سبب لدخول النار.

فلما قدمنا بعض جهاتكم؛ رأينا أهلها قد جال بهم الشيطان والهوى، وتمادوا في الغي والطغيان والإعراض عن النور والهدى، وفرقوا أمرهم وكانوا شيعًا، وغلب عليهم الجهل وإيثار الشهوات، واستجابوا لداعي الشبهات، فوقعوا في وادي جهل خطير، فهم على شفا حفرة من السعير، وغلب على أكثرهم الاعتقادُ في أهل القبور والأحجار والغيران، وتعظيمُ أهل الصلاح من المقبورين، وهٰذا هو دين أهل الجاهلية الأولين، الذي بُعِثَ فيهم سيد المرسلين وإمام المتقين.

فلما رأينا ذٰلك؛ وجب علينا الدعوة إلى الله بالحجج والبراهين، وهى طريقة النبي الأمين، وسبيل من اتبعه من الصحابة والتابعين ومن سلك منهاجهم إلى يوم الدين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وكتبنا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والعقائد السلفية إلى القبائل والبلدان، بعدما سفت عليها السوافي، وقل من يعرفها من أهل القرى والبوادي، نصحًا لله ولرسوله ولكتابه ولعبادة المؤمنين.

وصار بعض الناس يسمع بنا معاشر الوهابية[1] ولا يعرف حقيقة ما نحن عليه، وينسب إلينا ويضيف إلى ديننا ما لا ندعوا إليه، فبعضهم يتقوَّل علينا وينسب إلينا السفاسف والأباطيل، تنفيرًا للناس عن قبول هٰذا الدين، وصدًّا لهم عن توحيد رب العالمين، فأوجب لنا تسويد هذه العجالة، بيانًا لما نعتقده وندين الله به وندعوا إليه ونجاهد الناس عليه.

فاعلموا: أن حقيقة ما نحن عليه وما ندعوا إليه ونجاهد على التزامه والعمل به؛ أنا ندعوا إلى دين الإسلام والتزام أركانه وأحكامه الذي أصله وأساسه: شهادة أن لا إلٰه إلاّ الله، والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وهذه العبادة مبنية على أصلين: كمال الحب لله، مع كمال الخضوع والذل له.

والعبادة لها أنواع كثيرة، فمن أنواعها: الدعاء؛ وهو أجل أنواع العبادة، وسمَّاه الله عباده في عدة مواضع من كتابه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ

(١) درج أعداء الدعوة على تسمية أهل الحق «وهابية» فأراد الشيخ رحمه الله بيان حقيقة ما عند تلامذة وأحفاد الإمام محمد بن عبد الوهاب بهذه الرسالة، والأمر كما قال الشيخ عمران اللِّنجي رحمه الله: **إن كان تابع أحمد متوهبًا فأنا المقر بأنني وهابي.** (م)

﴿٦٠﴾ [غافر: ٦٠] ونظائر هٰذا في القرآن كثير، وفى الحديث: «الدعاء مخ العبادة»(١).

فنقول: لا يدعى إلا الله، ولا يستغاث في الشدائد وجلب الفوائد إلا به، ولا يذبح القربان إلا له، ولا ينذر إلا له، ولا يخاف خوف السِّر إلا منه وحده، ولا يُتَوَكَّل إلا عليه، ولا يُسْتَعَانُ وَلَا يُسْتَعَاذُ إلا به، وليس لأحد من الخلق شيء من ذٰلك، لا الملائكة ولا الأنبياء ولا الأولياء ولا الصالحين ولا غيرهم.

فلله حقٌ لا يكون لغيره، وحقه تعالى: إفراده بجميع أنواع العبادة، فلا تأله القلوب محبةً وإجلالًا وتعظيمـًا وخوفًا ورجاء إلا الله، فهذه هي الحكمة الشرعية الدينية، والأمر المقصود في إيجاد البرية.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومعنى يعبدون: يوحدون، والعبادة هي: التوحيد؛ لأن الخصومة بين الرسل وأممهم فيه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

---

(١) أخرجه الترمذي وغيره من حديث أنس رضي الله عنه وفي إسناده ابن لَهيعَة وهو ضعيف، ويغني عنه ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ بلفظ «**الدعاء هو العبادة**». (م)

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

فمن دعا غير الله؛ من ميت أو غائب أو استغاث به؛ فهو مشرك كافر، وإن لم يقصد إلا مجرد التقرب إلى الله وطلب الشفاعة عنده.

وقد دخل كثير من هذه الأمة في الشرك بالله والتعلق على من سواه، ويسمون ذٰلك توسلًا وتشفعًا، وتغيير الأسماء لا اعتبار به، ولا تزول حقيقة الشيء ولا حكمه بزوال اسمه وانتقاله في عرف الناس باسم آخر.

ولما علم الشيطان أن النفوس تنفر من تسمية ما يفعله المشركون تألهًا؛ أخرجه في قالب آخر تقبله النفوس، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليشربن أناسٌ من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها**»(١).

(١) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيرهم من طريق معاوية بن صالح عن حاتم بن حريث عن مالك بن أبي مريم عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري عن أبي مالك الأشعري عن النبي ﷺ.

ومالك بن أبي مريم فيه جهالة، وراجع كتاب «الأشربة» من صحيح البخاري مع الفتح: «باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه». (م)

وكذٰلك من زنى وسمى ما فعله نكاحًا؛ فتغيير الأسماء لا يُزِيل الحقائق، وكذا من ارتكب شيئًا من الأمور الشِّرْكيه فهو مُشْرك وإن سمى ذٰلك توسلًا وتشفعًا.

يوضح ذٰلك: ما ذكر الله في كتابه عن اليهود والنصارى بقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾ الآية [التوبة: ٣١].

وروى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما أن عَدِى بن حاتم قدم على النبي ﷺ وكان قد تَنَصَّر في الجاهليه، فسمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾ الآية، قال يا رسول الله: إنَّهم لم يعبدوهم، فقال ﷺ: «**بلا، إنهم حَرَّمُوا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فذاك عبادتهم إياهم**».

وقال ابن عباس وحذيفة بن اليمان في تفسير هذه الآية: إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا، فهؤلاء الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية؛ لم يسموا أحبارهم ورهبانهم أربابًا ولا آلهة، ولا كانوا يظنون أن فعلهم هٰذا معهم عباده لهم.

ولهٰذا قال عدي: إنهم لم يعبدوهم، وحكم الشيء تابع لحقيقتة لا لاسمه ولا لاعتقاد فاعله، فهؤلاء كانوا يعتقدون أن طاعتهم في ذٰلك ليس بعبادة لهم، فلم يكن ذٰلك عذرًا لهم ولا مزيلًا لاسم فعلهم ولا لحقيقته وحكمه.

يوضح ذٰلك: مـا روى الترمذي وصححه عن أبي واقد الليثى قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كمـا لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كمـا قالت بنو إسرائيل لموسى**: ﴿**ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ** ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨] **لتتبعن سنن من كان قبلكم**». فهؤلاء مـا كانوا يظنون أن الذي طلبوه ممـا تنفيه لا إلٰه إلا الله، فلم يكن جهلهم مغيرًا لحقيقة هٰذا الأمر وحكمه.

ومن كان له معرفة بمـا بعث الله به رسوله؛ علم أن مـا يُفعل عند القبور من دعاء أصحابها والاستغاثة بهم والعكوف عند ضرائحهم والسجود لهم والنذر لهم؛ أعظم وأكبر من فعل الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وأقبح وأشنع من قول الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كمـا لهم ذات أنواط.

قال بعض العلمـاء المحققين -رحمه الله تعالى-: فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحه والعكوف عليها اتخاذ إلٰه، مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فمـا الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه والدعاء عنده؟ فأي نسبة للفتنه بشجرة إلى الفتنه بالقبر لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون ؟ انتهى.

ولقد حمى النبي ﷺ جَنَاب التوحيد وسد الذرائع التي تفضي إلى الشرك والتنديد، فقال فيما صح عنه ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١).

ونهى عن إيقاد السرج عليها فقال ﷺ: «**لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليه المساجد والسرج**»(٢).

ونهى أن تتخذ عيدًا، **ونهى** عن البناء عليها، وأمر بتسويتها بالأرض كما روى مسلم في صحيحه عن أبى الهياج الأسدي قال: قال لي عليّ رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»، ونهى عن تجصيص القبور وعن الكتابة عليها.

فنحن ننكر الغلو في أهل القبور والإطراء والتعظيم، ونَهْدِم البنايات التي على قبور الأموات لما فيها من الغلو والتعظيم الذي هو أعظم وسائل الشرك بالله.

---

(١) رواه الإمام مالك وغيره عن عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلًا، وله شواهد صُحح بها. (م)

(٢) الحديث بهذه الألفاظ لا يصح، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم، وفي إسناده أبو صالح باذام مولى أم هانيء وهو ضعيف، ويروي هنا عن ابن عباس وهو لم يسمع منه كما قال ابن حبان. (م)

وهذه الأمور التي أوجبت عبادتها من دون الله ابتدعها أناسٌ أرادوا بها التعظيم وإظهار تشريفهم، فجاء مَنْ بعدهم فعبدوهم من دون الله، وقصدوا منهم كشف الملمات، وسألوهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفان، واعتقدوا هٰذا الشرك الوخيم قربةً وديناً يدينون به، واشتد نكيرهم على من أنكر ذٰلك وحذروا عنه ورموه بالزور والبهتان، والله ناصر دينه في كل زمان ومكان، لكنه يمتحن حزبه بحربه مذ كانت الفئتان.

ومما نعتقده وندين الله به: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره، ونؤمن بأسماء الله تعالى وصفاته.

ونثبت ذٰلك على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتًا بلا تمثيل، وننزه الله عما لا يليق بجلاله تنزيهًا بلا تعطيل، ونعتقد أن الله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه عالٍ على خلقه، وعرشه فوق السماوات، وهو بائنٌ عن مخلوقاته، ولا يخلو مكان من علمه.

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

فنؤمن باللفظ ونثبت حقيقة الاستواء، ولا نُكَيِّف ولا نُمَثِّل لأنه لا يعلم كيف هو إلا هو.

قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله -وبقوله نقول-، وقد سأله رجل

عن الاستواء فقال: الاستواء معلوم والكَيْف مجهول والإيمـان به واجب والسؤال عنه بدعه.

فأثبت مـالك رحمه الله الاستواء ونفى علم الكيفية.

وكذٰلك اعتقادنا في جميع أسمـاء الرب وصفاته من الإيمـان باللفظ وإثبات الحقيقة ونفي علم الكيفية.

والقول الشامل في ذٰلك أنا نصف الله بمـا وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والحديث، فمن شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد مـا وصف الله به نفسه فقد كفر.

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

فسبحان من لا سمي له ولا كفو له، وهو أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلًا وأحسن حديثًا من خلقه.

ونؤمن بمـا ورد من أن الله تعالى ينزل كل ليله إلى سمـاء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخِر فيقول: «**هل من سائل فأعطيه سؤله؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل**

من تائب فأتوب عليه»[1].

ونعتقد أن القرآن كلام الله مُنَزَّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وسمعه جبريل من الباري سبحانه ونزل به على رسول الله ﷺ، ولا نقول بقول الأشاعرة ولا غيرهم من أهل البدع.

ونؤمن أن الله فعّال لما يريد، لا يكون شيءٌ إلا بقضائه وقدره، ولا محيد لأحد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خُطَّ في اللوح المسطور.

ونؤمن بآيات الوعيد والأحاديث الثابته عن النبي ﷺ، ولا نقول بتخليد أحد من المسلمين من أهل الكبائر في النار كما تقول الخوارج والمعتزلة.

لما ثبت عن النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة أنه يخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وإخراجهم من النار بشفاعة نبينا محمد ﷺ فيمن يشفع له من أهل الكبائر من أمته، وشفاعة غيره من الملائكة والأنبياء، ولا نقف في الأحكام المطلقة، بل نعلم أن الله يُدْخِل النار من يدخلها من أهل الكبائر، وآخرون لا يدخلونها لأسباب تمنع من دخولها كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحوها.

ونعتقد أن الله يفعل ما يفعله لحكمة وأسباب، وهو تبارك وتعالى خالق الأسباب ومسبباتها، ولا نشهد لشخص معيّن بجنةٍ ولا نار؛ لأن حقيقة باطنه

(١) والحديث نص على تواتره غير واحد من أهل العلم. (م)

ومـا مـات عليه لا نحيط به، لكن نرجوا للمحسن ونخاف على المسيء، إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ولا نُكَفِّر أحدًا من أهل الإسلام بذنب دون الشرك، ولا نخرجه عن دائرة الإسلام بارتكاب كبيرة.

ونؤمن بمـا أخبر به النبي ﷺ بمـا يكون بعد الموت.

ونؤمن بفتنة القبر، وعذابه ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى أجسادها، فيقوم الناس لرب العالمين في موقف القيامة حفاةً عراةً غرلًا، وتدنو منهم الشمس فَيُلْجِمهم العرق، وتُنصب الموازين وتُنشر الدواوين، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشمـاله.

ونؤمن بحوضِ نبينا محمد ﷺ.

ونؤمن بأن الصراط يُنْصَب على مَتنْ جَهَنَّم ويمر الناس على قَدْر أعمـالهم.

ونؤمن بشفاعة النبي ﷺ وأنه أول شافع وأول مشفع ولا ينكرها إلا مبتدع ضال، وأنها لا تقع إلا بعد الإذن والرضا كمـا قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ولا يأذن إلا لأهله.

قال أبو هريرة رضي الله عنه للنبي ﷺ من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «**من قال لا إله إلاّ الله خالصا من قلبه**»(١).

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨].

ونؤمن أن الله تعالى خلق الجنة وأنها موجودة الآن، وأن الله أعدها لمن أطاعه واتقاه، وأن الله خلق النار وأنها موجودة الآن، وأن الله أعدها لمن كفر به وعصاه.

ونؤمن أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم في الجنة كما يُرى القمر ليلة البدر، لا يضامون في رؤيته.

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجهه تعالى**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. (م)

(٢) لا يصح عن النبي ﷺ بهذا اللفظ، وقد جاء تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه تعالى في حديث صهيب رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عند مسلم. (م)

ونؤمن أن محمدًا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، وأن أفضل أمته: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم بقية العشرة ثم أهل بدر ثم أهل الشجرة -أهل بيعة الرضوان- ثم سائر الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين-، ونتولى أصحاب رسول الله ﷺ ونترضى عنهم ونستغفر لهم، ونذكر محاسنهم وفضائلهم ونكف عما شجر بينهم، ونترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوءٍ، وأن فضلاهن عائشة، ونبرأ من قول الرافضة ونعتقد كفر غلاتهم[1]، ونبرأ من قول الزيدية وغيرهم من أهل البدع.

ونرى الجهاد مع كل إمام بَرًّا كان أو فاجرًا، منذ بعث الله محمد ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال.

ونرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية.

ونرى هجر أهل البدع ومباينتهم.

ونرى أن كل محدثةٍ في الدين بدعة.

ونرى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل قادر بحسب قدرته واستطاعته بيده، فإن تعذر فبلسانه، فإن تعذر فبقلبه.

كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من رأى منكم منكرا فليغيره**

(١) كالإمامية الاثنى عشرية. (م)

بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطيع فبقلبه وذٰلك أضعف الإيمـان»[1].

ونعتقد أن الإيمـان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

كمـا في الحديث الصحيح «**الإيمـان بضعٌ وستون** أو **بضع وسبعون شعبة**[2]، **أعلاها قول: لا إلٰه إلا الله، وأدناها إمـاطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمـان**».

ونعتقد أن الله أكمل الدين وأتم نعمته على العالمين ببعثه محمد الرسول الأمين، خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه دائمـًا إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المـائدة: ٣].

فلمـا أكمل الله به الدين وبلّغ البلاغ المبين؛ قبضه الله إليه وتوفاه، واختار له الرفيق الأعلى.

---

(١) أخرجه مسلم وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. (م)

(٢) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واختلف أهل العلم في الترجيح بين اللفظين، وقد رَجَّح العلامة الألباني لفظ مسلم «**وسبعون**» على لفظ البخاري «**وستون**». (م)

ونعتقد أن رتبته ﷺ أعلى رتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حي في قبره حياة برزخية، أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل؛ إذ هو أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام المسلم عليه.

وأما الحياة التي تقتضي العلم والتصرف والحركة في التدبير؛ فهي منفية عنه ﷺ[1].

وبالجملة: فعقيدتنا في جميع الصفات الثابتة في الكتاب والسنة عقيدة أهل السنة والجماعة، نؤمن بها ونُمرها كما جاءت، مع إثبات حقائقها وما دلت عليه، من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تعطيل ولا تبديل ولا تأويل[2].

وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة في الفروع والأحكام، ولا ندَّعي الاجتهاد[3]، وإذا بانت لنا سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ عملنا بها، ولا نقدم عليها قول أحد كائنًا من كان، بل نتلقاها بالقبول والتسليم، لأن سنة رسول الله ﷺ في صدورنا أجل وأعظم من أن نقدم عليها قول أحد، فهٰذا

---

(١) فحياته البرزخية لا تعارض موتَه حقيقةً وانتهاءَ حياتِه الدنيوية صلى الله عليه وعلى آله وسلم. (م)

(٢) أي: تحريف. (م)

(٣) راجع لمزيد بيان هذه المسألة عند أئمة الدعوة النجدية: كتاب «الإقناع بما جاء عن أئمة الدعوة من أقوال في الاتباع». (م)

الذي نعتقده وندين الله به.

فمن نسب عنا خلاف ذٰلك أو تقول علينا مـا لم نقل؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، وحسابنا وحسابه عند الله الذي تنكشف عنده السرائر، وتظهر لديه مخبآت الصدور والضمـائر ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ [الأحزاب:٤].

وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

❀❀❀

رسالة أخرى(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد اللطيف إلى من يراه من عسير وكافة الحجاز واليمن هداهم الله لدين الإسلام؛ وبعد:

فاعلموا أن الذي نعتقده وندين الله به وندعوا الناس إليه ونجاهدهم عليه؛ هو دين الإسلام الذي أوجبه الله على عباده، وهو حقه عليهم الذي خلقهم لأجله، فإن الله خلقهم ليعبدوه ولا يشركوا به في عبادته أحدًا من المخلوقين، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فضلاً عن غيرهما، فمن تعلق على غير الله وصرف له شيئًا من أنواع العبادة؛ فقد اتخذه إلهاً مع الله، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه حرم الجنة على من أشرك معه أحداً غيره وحرم المغفرة عليه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ ...﴾ الآية [المائدة: ٧٢]، وقال ﷺ: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**».

(*) وهي في «الدرر السنية....» (١/ ٥٧٧: ٥٧٩).

ونأمر بهدم القباب، ونهدم ما بُني على القبور، ولا يزاد القبر على شبر من التراب، وغيره.

ونأمر بإقام الصلاة جماعة في المساجد، ونؤدب من تخلف أو تكاسل عن حضورها وترك الحضور في المسجد.

ونلزم ببقية شرائع الإسلام؛ كالزكاة والصوم والحج للقادر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وننهى عن الربا والزنا وشرب الخمر والتتن، وعن لبس الحرير للرجال، وننهى عن عقوق الوالدين وعن قطيعة الأرحام.

وبالجملة: فإنا نأمر بما أمر الله في كتابه، وأمر به رسوله ﷺ، وننهى عما نهى الله عنه ونهى عنه رسوله، ولا نحرم إلا ما حرم الله، ولا نحلل إلا ما حلل الله، فهذا الذي ندعوا إليه، ومن كان قصده الحق ومراده الخير والدخول فيه؛ التزم ما ذكرنا وعمل بما قررنا، فيكون له ما لنا وعليه ما علينا، ونجاهد من لم يقبل ذلك، ونستعين الله على جهاده، ونقاتله حتى يلتزم ما أمر الله به في كتابه وأمر به رسوله ﷺ.

فإنا -ولله الحمد والمنة- لم نخرج عما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن نسب عنا خلاف ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وصلى الله على محمد و[على] آله وصحبه وسلم.

الفهرس

مصادر الرسالة (حاشية) ٥
التعريف بالمؤلف. ٥
سبب تأليف الرسالة ٧
الجهل الذي عاشه الناس زمن الشيخ ٨
عقيدة تلامذة وأحفاد الإمام ٩
أنواع العبادة. ٩
حق الله أن يفرد وحده بالعبادة ١٠
معنى العبادة ١٠
حكم من دعا غير الله ١١
تسمية الشرك بغير اسمه ١١
تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ... ﴾ ١٢
موقع شرك المعاصرين من شرك الأولين. ١٣
حماية النبي ﷺ لجناب التوحيد ١٤
النهي عن الغلو في أهل القبور ١٤
كيف دخل الناس في الشرك ١٥
عقيدة تلامذة وأحفاد الشيخ في أسماء الله وصفاته ١٥
عقيدتهم في القرآن ١٧

عقيدتهم في أفعال الله ١٧
عقيدتهم في الشفاعة ١٧
عقيدتهم في رؤية الله ١٩
عقيدتهم في الصحابة رضي الله عنهم ٢٠
عقيدتهم في الجهاد وفي الإمام ٢٠
عقيدتهم في البدع وأهلها ٢٠
عقيدتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٠
عقيدتهم في الإيمـان ٢١
عقيدتهم في النبي ﷺ وبعثته ٢١
رسالة أخرى في عقيدتهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ٢٤

فتاوى

في معنى

«لا إله إلا اللّه»

للعلامة الشيخ

عبد اللّه بن عبد الرحمن أبا بطين

المولود بالرَّوضة سنة ١١٩٤هـ

والمتوفَّى بشقراء سنة ١٢٨٢هـ

رحمه اللّه تعالى

عليها تعليقات مختصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

ترجمة الشيخ عبد الله أبا بطين[1]

هو الإمام العالم العلامة، الفقيه البحر الفهّامة، المدقِّق النبيه، المحقق الموفق، مفيد الطالبين وقامع المشبهين، شيخ الإسلام عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سلطان بن خميس أبا بطين العائذي، ولد في بلد الروضة سنة ١١٩٤ من الهجرة، ونشأ بها نشأة حسنة، في الديانة والصيانة، والعفاف، وطلب العلم.

أخذ العلم عن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد، والشيخ محمد بن عبد الله بن طراد الدوسري الحنبلي؛ فمهر في الفقه، وفاق أهل عصره في إبان نشاته، ثم ارتحل إلى شقراء، وأخذ العلم عن الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الحصين في التفسير والحديث والفقه، وأصوله، وأصول الدين، حتى برع، وأخذ عن الشيخ أحمد بن حمزة بن رشيد العفالقي الأحسائي ثم المدني، وعن الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، واجتهد حتى صار منارًا يهتدى به، وإمامًا يقتدى به.

---

(١) من «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١٦/ ٤٢٧: ٤٢٩).

ولي القضاء زمن الإمام سعود في بلد الطائف، ودرَّس فيه؛ وأخذ عنه جماعة في الحديث والتفسير، وعقائد السلف، ثم رجع إلى بلده قاضيا عليها وبلدان الوشم.

قال الشيخ إبراهيم بن عيسى: هو الإمام، والحبر الهمام، العالم العلامة، القدوة الفهَّامة، حسن السيرة والورع، والديانة، والصيانة، والعفاف، جلدًا على التدريس، لا يمل ولا يضجر، ولا يرد طالبًا، كريمًا سخيًّا، وقورًا دائم الصمت قليل الكلام، كثير التهجد والعبادة، حسن الصوت بالقراءة، قراءته مرتلة مجودة، معرضًا عن القيل والقال، ماشيًا على أهدى سبيل، وأثنى عليه هو وغيره، وهو أشهر من أن يُذكر.

وله:

١- حاشية على شرح المنتهى[١] مجلد.

٢- حواش وتعليقات على شرح الزاد وغيره[٢].

٣- رسالة في تجويد القرآن.

٤- كتاب كشف تلبيس داود بن جرجيس.

---

(١) «منتهى الإرادات في جمع المقنع والتنقيح وزيادات».

(٢) طبعت حاشيته على «الروض المربع شرح زاد المستقنع» في مجلدين بالمطبعة السلفية وقد كان للمترجَم عناية خاصة بهذا الكتاب.

٥- الانتصار، رد عليه أيضًا[١].

٦- فتاوى تبلغ مجلدًا، فرّقناها في مواضعها[٢].

وكتب كثيرًا من الكتب الجليلة بخطه الحسن المتقن، ونقل على كثير منها كثيرًا من الفوائد.

وصار قاضيًا أيام الإمام تركي، في عنيزة وبلدان القصيم.

أخذ عنه العلم جماعة منهم: ابنه عبد الرحمن، والشيخ محمد بن عبد الله بن مانع، والشيخ محمد بن عبد الله بن سليم، والشيخ محمد بن عمر بن سليم، والشيخ علي بن محمد بن راشد، والشيخ إبراهيم بن حمد بن عيسى، وابنه الشيخ أحمد، والشيخ علي بن عبد الله بن عيسى، والشيخ حسن بن علي، والشيخ عبد العزيز بن محمد، والشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف، والشيخ محمد بن عبد الله بن حميد[٣]، والشيخ علي بن محمد، والشيخ علي البناني، والشيخ علي بن محمد آل

---

(١) طبع للشيخ ردٌّ على داود بن جرجيس قديمًا بمصر سنة ١٢٤٤.

(٢) ومنها هذه الفتاوى وهي في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢/ ٢٨٩: ٣١٥).

(٣) قال الشيخ سليمان بن حمدان في «تراجم متأخري الحنابلة» (ص/ ١٣٣) - بعد أن ذكر أخذ ابن حميد هذا عن المترجَم -:

«ثم حصلت بينهما نفرة وعداوة بسبب رد الشيخ على داود بن جرجيس ودحلان فيما أجازاه من دعاء الأموات والغائبين، فألف ابن حميد المذكور مؤلفًا رد به عليه سماه «قرة العين في الردّ على أبا

مقبل، والشيخ إبراهيم بن عجلان، والشيخ سليمان بن عبد الرحمن، والشيخ عبد الله بن عبد الكريم، والشيخ صالح بن حمد بن نصر الله، وغيرهم جمٌّ غفير.

توفي رحمه الله تعالى في شقراء، سنة ١٢٨٢.

❀❀❀

بطين» فرد عليه الشيخ عبد الرحمن بن حسن بكتابه المسمى بـ«المحجة في الرد على صاحب اللَّجة»، واللَّجة: لقب لمحمد بن حميد، لُقِّب به لكثرة كلامه ولغطه».

ثم قال: «ألف ذيلاً على طبقات الحنابلة سماه «السحب الوابلة» لم يعرج فيه على ذكر أحد من أئمة هذه الدعوة النجدية والنهضة المباركة الدينية من أولاد الشيخ محمد وأحفاده فمن بعدهم ولا من أعلام نجد الأعلام من غير أبناء الشيخ ممن هم جديرون بالذكر سترًا منه للحق الواضح وبخسًا لميزان الفضل الراجح، وإن مر لهم ذكر بمناسبة بعض الحوادث رأيته في صريح كلامه يتبرأ منهم براءة الذئب من دم يوسف.

وليس من الإنصاف أن يدفع الفتى أذى النقص عنه بانتقاص الأفاضل»؛ اهـ.

وانظر: «تراجم متأخري الحنابلة» الشيخ سليمان بن حمدان (ص/ ٣٦، ٩٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، رحمه الله تعالى:

ما قولكم - دام فضلكم - في تعريف العبادة وتعريف توحيد العبادة، وأنواعه؟ وتعريف الإخلاص؟ وما بين الثلاثة من العموم والخصوص؟ وهل هو مطلق، أو وجهي؟ وما معنى الإله؟ وما معنى الطاغوت الذي أمرنا باجتنابه والكفر به؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين، أما العبادة في اللغة، فهي: من الذل؛ يقال؛ بعير معبد، أي: مذلل، وطريق معبد، إذا كان مذللًا قد وطأته الأقدام، وكذلك الدين أيضا، من الذل، يقال دنته، فدان، أي: ذللته، فذل؛ وأما تعريفها في الشرع، فقد اختلفت عباراتهم، في تعريفها، والمعنى واحد.

فعرفها طائفة بقولهم: هي ما أمر به شرعًا، من غير اطراد عرفي، ولا اقتضاء عقلي؛ وعرفها طائفة بأنها: كمال الحب مع كمال الخضوع؛ وقال أبو العباس، رحمه الله تعالى: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال، الباطنة والظاهرة.

فالصلاة، والزكاة، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وجهاد

الكفار، والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك، من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمته، والرضى بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك، فالدين كله داخل في العبادة. انتهى.

ومن عرفها بالحب من الخضوع، فلأن الحب التام، مع الذل التام يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له، فالعبد، هو الذي ذلَّله الحب والخضوع لمحبوبه، فبحسب محبة العبد لربه وذله له، تكون طاعته؛ فمحبة العبد لربه وذله له يتضمن عبادته وحده لا شريك له؛ والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله، بغاية المحبة له، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

ليس العبادة غير توحيد المـ حبة مع خضوع القلب
والحب نفس وفاقه فيما يحب وبغض ما لا يرتضى بجنان
ووفاقه نفس اتباعك أمره والقصد وجه الله ذي الإحسان

فعرف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح، فمن أحب شيئًا وخضع له، فقد تعبد قلبه له، فلا تكون المحبة المنفردة عن الخضوع عبادة، ولا الخضوع بلا محبة عبادة؛ فالمحبة والخضوع: ركنان للعبادة، فلا يكون أحدهما عبادة بدون الآخر، فمن خضع لإنسان مع بغضه له، لم يكن عابدًا له، ولو أحب

شيئًا، ولم يخضع له، لم يكن عابدًا له، كما يحب ولده وصديقه. ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة الكاملة والذل التام إلا الله سبحانه.

إذا عرف ذلك، فتوحيد العبادة هو: إفراد الله سبحانه بأنواع العبادة المتقدم تعريفها، وهو نفس العبادة المطلوبة شرعًا، ليس أحدهما دون الآخر؛ ولهذا قال ابن عباس: كل ما ورد في القرآن من العبادة، فمعناه التوحيد؛ وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون. وأما العبادة من حيث هي، فهي أعم من كونها توحيدًا عمومًا مطلقًا، فكل موحد عابد لله، وليس كل من عبد الله يكون موحدًا، ولهذا يقال عن المشرك: إنه يعبد الله، مع كونه مشركًا، كما قال الخليل ﷺ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء]. وقال عليه السلام: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف]. فاستثنى الخليل ربه من معبوديهم، فدل على أنهم يعبدون الله.

فإن قيل: ما معنى النفي في قوله سبحانه: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾ [الكافرون]؟

قيل: إنما نفى عنهم الاسم الدال على الوصف والثبوت؛ ولم ينف وجود الفعل

الدال على الحدوث والتجدد، وقد نبه ابن القيم، رحمه الله تعالى، على هذا المعنى اللطيف في «بدائع الفوائد»، فقال لما انجر كلامه على سورة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾ [الكافرون]: وأما المسألة الرابعة، وهو أنه لم يأت النفي في حقهم إلا باسم الفاعل، وفي جهته جاء بالفعل المستقبل تارة، وباسم الفاعل أخرى.

وذلك - والله أعلم - لحكمة بديعة، وهي: أن المقصود الأعظم، براءته من معبوديهم بكل وجه، وفي كل وقت؛ فأتى أولًا بصيغة الفعل، الدالة على الحدوث والتجدد، ثم أتى في هذا النفي بعينه بصيغة اسم الفاعل، الدالة على الوصف والثبوت، فأفاد في النفي الأول: أن هذا لا يقع مني، وأفاد في الثاني أن هذا ليس وصفي ولا شأني، فكأنه قال: عبادة غير الله لا تكون فعلًا لي ولا وصفًا، فأتى بنفيين لمنفيين مقصودين بالنفي.

وأما في حقهم، فإنما أتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت، دون الفعل؛ أي: الوصف الثابت اللازم للعابد لله، منتف عنكم، فليس هذا الوصف ثابتًا لكم، وإنما يثبت لمن خص الله وحده بالعبادة، لم يشرك معه فيها أحدًا، وأنتم لما عبدتم غيره، فلستم من عابديه، وإن عبدتموه في بعض الأحيان، فإن المشرك يعبد الله، ويعبد معه غيره، كما قال تعالى، عن أهل الكهف: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الكهف: ١٦]، أي: اعتزلتم معبوديهم، إلا الله، فإنكم لم

تعتزلوه، وكذا قول المشركين، عن معبوديهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فهم كانوا يعبدون الله، ويعبدون معه غيره، لم ينف عنهم الفعل لوقوعه منهم، ونفى الوصف؛ لأن من عبد غير الله لم يكن ثابتًا على عبادة الله موصوفًا بها.

فتأمل هذه النكتة البديعة! كيف تجد في طيها أنه لا يوصف بأنه عابد لله، وإن عبده، ولا المستقيم على عبادته، إلا من انقطع إليه بكليته، وتبتل إليه تبتيلاً، لم يلتفت إلى غيره، ولم يشرك به أحدًا في عبادته؛ وأنه إن عبده وأشرك به غيره، فليس عابدًا لله، ولا عبدًا له؛ وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة، التي هي أحد سورتي الإخلاص، التي تعدل ربع القرآن، كما جاء في بعض السنن. وهذا لا يفهمه كل أحد، ولا يدركه إلا من منحه الله فهمًا من عنده، فله الحمد والمنة. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

وأما الإخلاص: فحقيقته أن يخلص العبد لله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي: حقيقة الإسلام ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران].

وهي ملة إبراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقد تظاهرت دلائل الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، على اشتراط الإخلاص للأعمال والأقوال الدينية، وأن الله لا يقبل منها إلا ما كان خالصًا وابتغي به وجهه، ولهذا كان السلف الصالح يجتهدون غاية الاجتهاد في تصحيح نياتهم، ويرون الإخلاص أعز الأشياء وأشقها على النفس، وذلك لمعرفتهم بالله وما يجب له، وبعلل الأعمال وآفاتها، ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم؛ وإنما يهمهم سلامة العمل وخلوصه من الشوائب المبطلة لثوابه، والمنقصة له.

قال الإمام أحمد رحمه الله: أمر النية شديد.

وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئًا، أشد علي من نيتي لأنها تتقلب عليّ.

وقال يوسف بن أسباط: تخليص النية من فسادها، أشد على العاملين من طول الاجتهاد.

وقال سهل بن عبد الله: ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص، ولأنه ليس لها فيه نصيب.

وقال يوسف بن الحسين: أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، وكأنه ينبت فيه على لون آخر.

فيجب على من نصح نفسه أن يكون اهتمامه بتصحيح نيته، وتخليصها من الشوائب، فوق اهتمامه بكل شيء، لأن الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى.

وأما ما بين الثلاثة من العموم والخصوص، وهل هو وجهي، أو مطلق؟

فقد قدمنا أن العبادة من حيث هي أعم من توحيد العبادة، عمومًا مطلقًا، وأن العبادة المطلوبة شرعًا هي نفس توحيد العبادة؛ ودل كلام ابن القيم ﷺ أن توحيد العبادة أعم من الإخلاص، حيث قال:

فلواحد كن واحدًا في واحد أعني سبيل الحق والإيمان والأركان
هذا وثاني نوعي التوحيد تو حيد العبادة منك للرحمن
ألا تكون لغيره عبدًا ولا تعبد بغير شريعة الإيمان
فتقوم بالإسلام والإيمان وال إحسان في سر وفي إعلان
والصدق والإخلاص ركنا ذلك الت وحيد كالركنين للبنيان

إلى أن قال:

وحقيقة الإخلاص توحيد المرا د فلا يزاحمه مراد ثان
والصدق توحيد الإرادة وهو بذ ل الجهد لا كسلًا ولا متوان
والسنة المثلى لسالكها فتو حيد الطريق الأعظم السلطان

فقوله ﷺ: «والصدق، والإخلاص، ركنا ذلك التوحيد»، جعل الإخلاص، أحد ركني العبادة، والصدق ركنه الآخر، وفسر الصدق بما ذكر. وقال في بعض كلامه: ومقام الصدق جامع للإخلاص.

فعرَّفنا ﷺ أن توحيد العبادة أعم من الإخلاص، ولم يذكر إلا عمومًا مطلقًا؛

وأما العموم الوجهي، فالظاهر، أن المراد به: إذا كان أحد الشيئين أعم من وجه، وأخص من وجه؛ والعموم الذي بين مطلق العبادة، وبين توحيد العبادة، والإخلاص، مطلق لا وجهي.

وأما الإله، فهو: الذي تألهه القلوب، بالمحبة، والخضوع، والخوف، والرجاء، وتوابع ذلك من: الرغبة، والرهبة، والتوكل، والاستغاثة، والدعاء، والذبح، والنذر، والسجود؛ وجميع أنواع العبادة: الظاهرة والباطنة؛ فهو إله، بمعنى: مألوه، أي: معبود. وأجمع أهل اللغة أن هذا معنى الإله، قال الجوهري: أَلَهَ بالفتح، إلهة، أي: عبد عبادة، قال: ومنه قولنا: الله، وأصله: إله، على فعال، بمعنى مفعول، لأنه مألوه، بمعنى معبود، كقولنا: إمام، فعال، بمعنى: مفعول، لأنه مؤتم به؛ قال: والتأليه: التعبيد؛ والتأله: التنسك والتعبد.

قال رؤبة[1]:

سبحن واسترجعن من تألهِ... انتهى.

وقال في «القاموس»: أَلَه إلهة وألوهة: عبد عبادة؛ ومنه لفظ الجلالة؛ واختلف فيه على عشرين قولًا؛ يعني في لفظ الجلالة، قال: وأصله: إلَهٌ، بمعنى: مألوه؛ وكل ما اتُّخذ معبودًا، إلَهٌ عند متخذه؛ قال، والتأله: التنسك والتعبد. انتهى.

---

(١) هو رؤبة بن العجاج، والبيت أوله: **لله در الغانيات المدهِ**... (م)

وجميع العلماء من المفسرين، وشراح الحديث، والفقه، وغيرهم، يفسرون الإله بأنه: المعبود.

وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين، فظن أن الإله هو القادر على الاختراع، وهذه زلة عظيمة وغلط فاحش، إذا تصوره العامي العاقل تبين له بطلانه، وكأن هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه، ولم يعلم أن مشركي العرب وغيرهم يقرون بأن الله هو القادر على الاختراع، وهم مع ذلك مشركون. ومن أبعد الأشياء: أن عاقلًا يمتنع من التلفظ بكلمة يقر بمعناها، ويعترف به، ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا؛ هذا ما لا يفعله، من له أدنى مسكة من عقل.

قال أبو العباس، رحمه الله تعالى[1]: وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع، كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع، دون غيره، فقد شهد ألا إله إلا الله؛ فإن المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[لقمان: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون] الآيات،

(١) في كتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة النجدية المراد بأبي العباس: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية - رحمه الله تعالى -. (م)

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف]. قال ابن عباس: تسألهم من خلق السماوات والأرض؛ فيقولون: الله؛ وهم مع هذا، يعبدون غيره.

وهذا التوحيد من التوحيد الواجب، لكن لا يحصل به الواجب، ولا يخلص بمجرده عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر، الذي لا يغفره الله، بل لا بد أن يخلص لله الدين، فلا يعبد إلا إياه، فيكون دينه لله. والإله، هو: المألوه، الذي تألهه القلوب؛ فهو إله بمعنى مألوه لا بمعنى أله. انتهى.

وقد دل صريح القرآن على معنى الإله، وأنه هو المعبود، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾ [الزخرف]، قال المفسرون: هي كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله»، ﴿ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾ [الزخرف: ٢٨]، أي: ذريته؛ قال قتادة: لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده؛ والمعنى: جعل هذه الموالاة والبراءة من كل معبود سواه، كلمة باقية في ذرية إبراهيم، يتوارثها الأنبياء وأتباعهم، بعضهم عن بعض، وهي كلمة: «لا إله إلا الله».

فتبين: أن موالاة الله بعبادته والبراءة من كل معبود سواه، هو معنى «لا إله إلا الله». إذا تبين ذلك، فمن صرف لغير الله شيئًا من أنواع العبادة المتقدم تعريفها، كالحب، والتعظيم، والخوف، والرجاء، والدعاء، والتوكل، والذبح، والنذر،

وغير ذلك، فقد عبد ذلك الغير واتخذه إلهًا، وأشركه مع الله في خالص حقه، وإن فر من تسمية فعله ذلك تألهًا وعبادة وشركًا. ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها، فلو سمى: الزنا، والربا، والخمر، بغير أسمائها، لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها: زنا، وربا، وخمرًا، ونحو ذلك.

ومن المعلوم: أن الشرك إنما حرم لقبحه في نفسه، وكونه متضمنًا مسبة الرب وتنقصه، وتشبيهه بالمخلوقين؛ فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمه، كتسميته: توسلاً، وتشفعًا، وتعظيمًا للصالحين، وتوقيرًا لهم، ونحو ذلك؛ فالمشرك مشرك، شاء أم أبى، كما أن الزاني زانٍ شاء أم أبى، والمرابي مرابٍ شاء أم أبى.

وقد أخبر النبي ﷺ أن طائفة من أمته يستحلون الربا، باسم البيع، ويستحلون الخمر، باسم آخر غير اسمها، وذمهم على ذلك؛ فلو كان الحكم دائرًا مع الاسم، لا مع الحقيقة لم يستحقوا الذم، وهذه من أعظم مكائد الشيطان لبني آدم قديمًا وحديثًا؛ أخرج لهم الشرك في قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم؛ وغير اسمه بتسميته إياه توسلًا، وتشفعًا، ونحو ذلك؛ والله الهادي إلى سواء السبيل.

وأما تعريف الطاغوت: فهو مشتق من طغى، وتقديره طغوت، ثم قلبت الواو ألفًا، قال النحويون: وزنه: فعلوت، والتاء زائدة، قال الواحدي: قال جميع أهل اللغة: الطاغوت: كل ما عبد من دون الله، يكون واحدًا، وجمعًا، ويذكر، ويؤنث؛ قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء:

٦٠]. فهذا في الواحد.

وقال تعالى في الجمع: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال في المؤنث: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]. قال: ومثله: في أسماء الفلك، يكون واحدًا، وجمعًا، ومذكرًا، ومؤنثًا.

قال: **قال الليث، وأبو عبيدة، والكسائي، وجماهير أهل اللغة**: الطاغوت: كل ما عبد من دون الله.

وقال الجوهري: الطاغوت: الكاهن، والشيطان، وكل رأس في الضلال.

وقال مالك، وغير واحد من السلف، والخلف: كل ما عبد من دون الله، فهو طاغوت.

وقال عمر بن الخطاب وابن عباس ﷺ **وكثير من المفسرين**: الطاغوت: الشيطان[1].

قال ابن كثير: وهو قول قوي جدًّا، فإنه يشمل كل ما عليه أهل الجاهلية من

---

(١) أثر عمر ﷺ: علّقه البخاري، ووصله الطبري وابن أبي حاتم وغيرهما، وفي إسناده حسان بن فائد، وفيه جهالة. (م)

عبادة الأوثان، والتحاكم إليها، والاستنصار بها. وقال الواحدي، عند قول الله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]: كل معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت؛ قال ابن عباس في رواية عطية: الجبت: الأصنام، والطاغوت: تراجمة الأصنام الذين يكونون بين أيديهم يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس. وقال في رواية الوالبي: الجبت: الكاهن، والطاغوت: الساحر.

وقال بعض السلف في قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]: إنه كعب بن الأشرف؛ وقال بعضهم: حيي بن أخطب، وإنما استحقا هذا الاسم لكونهما من رؤساء الضلال ولإفراطهما في الطغيان، وإغوائهما الناس ولطاعة اليهود لهما في معصية الله؛ فكل من كان بهذه الصفة، فهو طاغوت.

قال ابن كثير ﷺ **تعالى:** ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠] لما ذكر ما قيل: إنها نزلت في من طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف، أو إلى حاكم الجاهلية، وغير ذلك، قال: والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا.

فتحصل من مجموع كلامهم رحمهم الله: أن اسم الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله، وكل رأس في الضلال، يدعو إلى الباطل، ويحسنه، ويشمل أيضًا كل من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله؛ ويشمل أيضًا: الكاهن، والساحر، وسدنة الأوثان، الداعين إلى عبادة المقبورين

وغيرهم، بما يكذبون من الحكايات المضلة للجهال، الموهمة أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من توجه إليه وقصده، وأنه فعل كذا وكذا، مما هو كذب أو من فعل الشياطين، ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من قصده؛ فيوقعوهم في الشرك الأكبر وتوابعه. وأصل هذه الأنواع كلها، وأعظمها: الشيطان، فهو: الطاغوت الأكبر. والله ﷻ أعلم.

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه، الطيبين الطاهرين.

أما بعد: فقد ورد علينا رسالة من شيخنا العلامة، الشيخ عبد الرحمن بن حسن - متعنا الله بوجوده - متضمنة للإفادة، أخرجها مخرج السؤال، بقوله:

عرِّفونا ما معنى العبادة؟ ويكون التعريف جامعًا مانعًا، وكذلك الإله المنفي، بكلمة الإخلاص، والإلهية المثبتة للحق سبحانه وتعالى ؟

فالجواب - وبالله التوفيق -: أما تعريف العبادة: فقد عرَّفها شيخنا محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، في «فوائده» على كتابه «التوحيد»، بأن العبادة هي: التوحيد، لأن الخصومة فيه، وأن من لم يأت به لم يعبد الله، فدل على أن التجرد من الشرك، لابد منه في العبادة، وإلا فلا يسمى عبادة.

وقال الشيخ تقي الدين: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأفعال، فهي الغاية المحبوبة له تعالى: وبها أرسل الرسل وأنزل الكتب كما قال نوح عليه السلام، لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]. وكذلك هود، وصالح؛ وذلك أن الإله، يطلق على كل معبود بحق وباطل؛ والإله

الحق هو الله؛ قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

ويسمى هذا النوع: توحيد الإلهية، لأنه مبني على إخلاص التأله، وهو: أشد المحبة لله وحده لا شريك له؛ وذلك يستلزم إخلاص العبادة، وتوحيد العبادة، وتوحيد الإرادة، لأنه مبني على إرادة وجه الله بالأعمال، وتوحيد القصد، لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده، وتوحيد العمل، لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده، قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ ﴾ [الزمر].

فالموحد: من جمع قلبه ولسانه مخلصًا لله تعالى في الإلهية المقتضية لعبادته، بمحبته، وخوفه، ورجائه، ودعائه، والاستغاثة به، والتوكل عليه، وحصر الدعاء، بما لا يقدر على جلبه أو دفعه إلا الله وحده، والموالاة في ذلك والمعاداة فيه، وامتثال أمره، ناظرًا إلى حق الخالق والمخلوق من الأنبياء، والأولياء، مميزًا بين الحقين، وذلك واجب في علم القلب، وشهادته، وذكره، ومعرفته، ومحبته؛ وموالاته، وطاعته، وهذا من تحقيق «لا إله إلا الله».

لأن معنى «الإله» عند الأولين: ما تألهه القلوب بالمحبة التي كحب الله، والتعظيم، والإجلال، والخضوع؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥]؛ فالمحبة التي لله، غير المحبة التي مع الله، قال الله تعالى، عن الكفار: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء].

فمعنى شهادة ألا إله إلا الله: أن يقولها نافيًا بقلبه ولسانه الإلهية عن كل ما سواه، ومثبتها لمستحقها، وهو الله المعبود بالحق؛ فيكون معرضًا بقلبه عن جميع المخلوقات، لا يتألههم فيما لا يقدر عليه إلا الله، مقبلًا على عبادة رب الأرض والسماوات؛ وذلك يتضمن إرادة القلب في عبادته ومعاملته، ومفارقته في ذلك كل ما سواه؛ فيكون مفرقًا في علمه وقصده وشهادته وإرادته ومعرفته ومحبته بين الخالق والمخلوق؛ بحيث يكون عالمًا بالله، ذاكرًا له، عارفًا به، وأنه تعالى مباين لخلقه، منفرد عنهم بعبادته وأفعاله، وصفاته؛ ويكون محبًّا له، مستعينًا به لا بغيره، متوكلًا عليه لا على غيره.

وهذا هو معنى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٥]، وهي من خصائص الإلهية، كما أن رحمته لعبيده، وهدايته إياهم، وخلقه السماوات والأرض وما فيهما من الآيات، من خصائص الربوبية التي يشترك في معرفتها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، حتى إبليس - لعنه الله - معترف بها في قوله: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ [الحجر: ٣٩]، وقوله: ﴿أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤] مقر بأن كل شيء في يده سبحانه، وإنما كفر بعناده وتكبره عن الحق وطعنه فيه؛ وكذلك المشركون الأولون، يعرفون ربوبيته، وهم بها له معترفون، كما ذكر الله ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية [يونس:

٣١]، وغيرها من الآيات، وكما يقولون في تلبيتهم: «لا شريك لك، إلا شريك هو لك».

فمن ترك التوحيد، وارتكب ضده من الإقبال إلى غير الله، بالتوكل عليه، ورجائه فيما لا يمكن إلا من الله، والتجأ إلى ذلك الغير، مقبلًا عليه بقلبه، طالبًا شفاعته، متوكلاً عليه، راغبًا إليه فيها، تاركًا ما هو المطلوب المتعين عليه، متعلقًا على المخلوق لأجله، فإن هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم. ولا نشأت فتنة في الوجود، إلا بهذا الاعتقاد، فصار شقيًّا بالإرادة الكونية.

والإرادة الدينية: أصل في إيجاد المخلوق، والإرادة الكونية أصل فيمن كتبت عليه الشقاوة، فلا ييسر إلا لها، ولا يعمل إلا بها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود]. فهي الإرادة الكونية، وهي لا تعارض الإرادة الدينية التى هي أصل إيجاد المخلوقات؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، فقد يعبدون، وقد لا يعبدون؟ وقوله: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»، وكما في حديث القبضتين، فبهذا يتبين الفرق، بين الإرادة الكونية، والإرادة الدينية.

وأما تعريف الشرك وأنواعه: فقد عرفه شيخنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، في: كتاب «التوحيد»، فذكر أنواعه وأقسامه، وجليه وخفيه، وأكبره وأصغره، خصوصًا الشرك في العبادة، مما عساك لا تجده مجموعًا في غيره من

الكتب المطولات، فإن الإيمان النافع لا يوجد إلا بترك الشرك مطلقًا.

وأما أنواعه:

فمنها: الشرك في الربوبية، وهو نوعان:

شرك التعطيل: كشرك فرعون[١]، وشرك الذي حاج إبراهيم في ربه، ومنه شرك طائفة ابن عربي[٢]، ومنه: شرك من عطل أسماء الرب سبحانه وأوصافه من غلاة الجهمية، ومنه: شرك من جعل مع الله إلهًا آخر ولم يعطل ربوبيته، كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة.

النوع الثاني: الشرك في أسمائه وصفاته: ومنه تشبيه الخالق بالمخلوق، كمن يقول: يد كيدي؛ وهو شرك المشبهة[٣].

والنوع الثالث: الشرك في توحيد الإلهية والعبادة، فكل ما ذكرنا من توحيد

---

(١) الذي ادعى أن لا إله إلا هو، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، مكابرة وظلمًا وعلوًا. (م)

(٢) الذين قالوا: وجود المخلوقين هو عين وجود الله، ويقولون في معنى «لا إله إلا الله»: لا هو إلا هو. تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا. (م)

(٣) قال نعيم بن حماد الخزاعي - رحمه الله تعالى -: من شبّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيهًا. (م)

الإلهية، وأنواع العبادة، والقصد، التي لا يستحقها إلا الله، صرفها إلى غيره شرك.

النوع الثاني من شرك العبادة: الشرك الأصغر، كالرياء، والسمعة، والعمل لأجل الناس(١). وقد قال شيخنا محمد بن عبد الوهاب، ﷺ: إن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، ومنه: الشرك في الألفاظ، كقول: ما شاء الله وشئت، ونحوه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الشرك نوعان: أكبر، وأصغر. فمن خلص منهما وجبت له الجنة، ومن مات على الأكبر وجبت له النار. ومن خلص من الأكبر، وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة دخل الجنة. ومن خلص من الأكبر، لكن كثر الأصغر حتى رجحت به سيئاته، دخل النار(٢)، وذلك على سبيل الإشارة والاختصار. والله أعلم.

وأجاب أيضا: وقولك: هل تعريف العبادة تعريف العبودية؟

المراد: هل معناهما واحد؟ فالعبادة أخص من العبودية، واسم العبودية عام.

---

(١) الرياء قد يكون من الشرك الأصغر كما هو مقصود الشيخ - ﷺ تعالى -، وقد يكون من الأكبر كما في رياء المنافقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء]، فهؤلاء راءوا بأصل الدين. (م)

(٢) وإن كان لا يَخْلُد فيها؛ لأنّ الذي يُخَلِّد في النار هو الشرك الأكبر. (م)

قال ابن القيم رحمه الله، **في «المدارج»**: العبودية نوعان: عامة، وخاصة.

فالعبودية العامة: عبودية أهل السماء والأرض كلهم: مؤمنهم وكافرهم، وبرهم وفاجرهم، وهي: عبودية القهر والملك، قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم]، فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم.

وأما النوع الثاني: فعبودية الطاعة، والمحبة، واتباع الأوامر، قال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزخرف]، ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

وسئل أيضًا الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، عن قول من يقول: إن الأمر بعبادة الله وحده لا يفيد النهي عن الشرك، بل لا بدّ من النهي عن الشرك.

فأجاب: قول الجاهل، الكاذب على الله، الهاضم لكلام الله عما أريد منه، من قوله: إن الأمر بعبادة الله وحده لا يفيد النهي عن الشرك، بل لا بد من النهي عن الشرك، فهذا مخطئ ضال؛ والوعيد الشديد فيمن قال في القرآن برأيه ولو أصاب؛ فكيف بمن قال برأيه وأخطأ! وقد قال ابن عباس: كل ما ورد في القرآن من الأمر

بالعبادة، فمعناها التوحيد، وعلى هذا جميع المفسرين، والعلماء[1].

فعلى قول هذا الجاهل: إن قوله سبحانه: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات]، وقوله: ﴿فَإِيَّـٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [العنكبوت]، ونحو ذلك، لا يفيد النهي عن الشرك، فإذا كانت العبادة المأمور بها، هي التوحيد، والتوحيد هو إفراد الله بالإلهية، ونفيها عمن سواه، وهو معنى «لا إله إلا الله»، التي حقيقتها إثبات العبادة لله وحده، ونفي الشرك عن الله سبحانه فيها، وهذا أمر واضح ما يحتاج إلى إيضاح، فقد تبين بطلان قوله بما ذكرناه.

وسئل عن معنى: «لا إله إلا الله»؟ وما تنفي، وما تثبت؟

فأجاب ﷺ: أول واجب على الإنسان: معرفة معنى هذه الكلمة، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ - أي بلا إله إلا الله - ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [الزخرف]، بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم فأفرض الفرائض: معرفة معنى

(١) قال شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب - ﷺ تعالى - في مسائل مقدمة كتاب التوحيد: الثانية: أنّ العبادة هي التوحيد لأنّ الخصومة فيه. (م)

هذه الكلمة، ثم التلفظ بها والعمل بمقتضاها؛ فالإله هو: المعبود، والتأله: التعبد، ومعناها: لا معبود إلا الله؛ نفت الإلهية عمن سوى الله، وأثبتتها لله وحده.

فإذا عرفت أن الإله هو: المعبود، والإلهية هي: العبادة، والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه، من الأقوال والأفعال؛ فالإله، هو: المعبود المطاع؛ فمن جعل شيئًا من العبادة لغير الله، فهو مشرك، وذلك كالسجود، والدعاء، والذبح، والنذر؛ وكذلك التوكل، والخوف، والرجاء، وغير ذلك من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة؛ وإفراد الله سبحانه بالعبادة، ونفيها عمن سواه، هو حقيقة التوحيد، وهو معنى لا إله إلا الله.

فمن قال: لا إله إلا الله، بصدق ويقين، أخرجت من قلبه كل ما سوى الله، محبة وتعظيمًا، وإجلالًا، ومهابة، وخشية، وتوكلًا. فلا يصير في قلبه محبة لما يكرهه الله، ولا كراهة لما يحبه؛ وهذا حقيقة الإخلاص، الذي قال فيه ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله، مخلصًا من قلبه، دخل الجنة، - أو حرم الله عليه النار -**».

قيل للحسن البصري: إن ناسا، يقولون: من قال لا إله إلا الله، دخل الجنة، فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها، وفرضها... إلخ. وغالب من يقول: لا إله إلا الله، إنما يقولها تقليدًا، ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، فلا يعرف الإخلاص فيها؛ ومن لا يعرف ذلك، يخشى عليه أن يصرف عنها عند الموت؛ وغالب من يفتن في القبور، أمثال هؤلاء، كما في الحديث: «**سمعت الناس يقولون شيئا**

فقلته». نسأل الله أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. والله أعلم.

وسئل: أيضًا، عن معنى «لا إله إلا الله»، وعمن قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله، وهل من قالها ودعا نبيا أو وليا تنفعه؟ أو هو مباح الدم والمال ولو قالها؟

فأجاب ﷺ: معنى «لا إله إلا الله» عند جميع أهل اللغة، وعلماء التفسير والفقهاء كلهم يفسرون الإله بالمعبود؛ والتأله: التعبد، وأما العبادة، فعرفها بعضهم بأنها: ما أمر به شرعًا من غير اطراد عرفي، ولا اقتضاء عقلي، والمأثور عن السلف تفسير العبادة بالطاعة[1]، فيدخل في ذلك فعل المأمور وترك المحظور، من واجب ومندوب، وترك المنهي عنه من محرم ومكروه.

فمن جعل نوعًا من أنواع العبادة لغير الله، كالدعاء، والسجود، والذبح، والنذر، وغير ذلك، فهو مشرك. و«لا إله إلا الله» متضمنة للكفر بما يعبدون من دونه، لأن معنى «لا إله إلا الله»: إثبات العبادة لله وحده، والبراءة من كل معبود سواه؛ وهذا معنى الكفر بما يعبد من دونه، لأن معنى الكفر بما يعبد من دونه البراءة منه واعتقاد بطلانه، وهذا معنى الكفر بالطاغوت في قوله تعالى: ﴿فَمَن

(١) يريد الشيخ أنّ الطاعة في معنى العبادة لا أنّ العبادة تعني الطاعة فحسب - خاصة على مراد بعض المتأخرين -، وقد بيّن أهل العلم خطأ وضلال من فسر «لا إله إلا الله» بأنّه: لا مطاع إلا الله. (م)

يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والطاغوت: اسم لكل معبود سوى الله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله**»، فقوله: «**وكفر بما يعبد من دون الله**» الظاهر: أن هذا زيادة إيضاح؛ لأن «لا إله إلا الله»، متضمنة الكفر بما يعبد من دون الله.

ومن قال: لا إله إلا الله، ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر، كدعاء الموتى والغائبين، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والتقرب إليهم بالنذور، والذبائح، فهذا مشرك، شاء أم أبى، و ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٨]، و﴿ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [المائدة: ٧٢]، ومع هذا فهو شرك، ومن فعله فهو كافر.

ولكن كما قال الشيخ: لا يقال فلان كافر، حتى يبين له ما جاء به الرسول ﷺ؛ فإن أصر بعد البيان، حكم بكفره، وحل دمه وماله؛ وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ [الأنفال: ٣٩]، أي: شرك ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ﴾ [الأنفال: ٣٩]. فإذا كان في بلد وثن يعبد من دون الله، قوتلوا لأجل هذا الوثن، أي لإزالته، وهدمه، وترك الشرك، حتى يكون الدين كله لله.

والدعاء: دين، سماه الله دينا كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، أي: الدعاء، وقال ﷺ: «**بعثت بالسيف بين يدي الساعة، حتى يعبد الله وحده لا شريك له**» فمتى كان شيء من العبادة مصروفًا لغير الله، فالسيف مسلول عليه، والله أعلم.

وسئل الشيخ عبد الله أبا بطين، عن إنكار النبي ﷺ على من قال نستشفع بالله عليك... إلخ.

فقال: وما سألت عنه، من إنكار النبي ﷺ على من قال: نستشفع بالله عليك، ولم ينكر قوله: نستشفع بك على الله، لأن معنى قوله: نستشفع بك على الله، أي: نطلب منك، أن تدعو الله أن يغيثنا، لأن الداعي شافع؛ ومعنى نستشفع بالله عليك: نطلب من الله أن يطلب منك أن تدعو لنا، وتستسقي لنا؛ فالله سبحانه يشفع إليه، ولا يستشفع هو إلى أحد.

وأما آخر الحديث الذي أشار إليه، بعد قوله: «**لا يستشفع به على أحد، شأن الله أعظم من ذلك، إن الله على عرشه، إن عرشه على سماواته وأرضه، هكذا** – بأصابعه– **مثل القبة**». وفي لفظ: «**وإن عرشه فوق سماواته، وسماواته فوق أرضه،**

هكذا وقال بأصابعه مثل القبة»[١]. وقوله في الحديث الآخر: «**إنه لا يستغاث بي**» الحديث[٢].

فكأن النبي ﷺ أراد بهذا الحماية لجانب التوحيد، وإن كانت الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة، كقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]؛ وإذا أقبل عليك عدو، واستغثت بأصحابك ليعينوك، فهذا استغاثة بهم، والاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة.

وسئل أيضًا ﷺ **عن سؤاله الله بحق الكعبة، وطوافي عليك يا رب! وبحق محمد، ومدينته، عليك يا رب! وبحق القرآن، عليك يا رب! وبحق جبرائيل، والملائكة، والجنة، والنار، والشمس، والقمر، والأقطاب، والأبدال، والأوتاد، وغيرها؟**

فأجاب: السؤال بهذه الأشياء التي ذكرتم، باطل لا أصل له؛ والمشروع إنما هو سؤاله سبحانه بأسمائه وصفاته، كما في الأحاديث المشهورة، والله أعلم[٣].

---

(١) هذا الحديث أخرجه أبو داود وغيره من طريق وهب بن جرير واختلف عليه فيه، فروي بأسانيد متعددة مدارها على جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، وهو مجهول، والحديث قد ضعّفه غير واحد من أهل العلم. (م)

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» بهذا اللفظ، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة. (م)

(٣) ما في هذه الرسالة من تعليقات وتقديم فهي للشيخ محمد بن إبراهيم المصري. (الناشر)

[وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين].

رسالة في التوحيد
والاجتماع والسمع والطاعة

للشيخ العلامة عبد الله بن عبد اللطيف بن
عبد الرحمن بن حمد بن شيخ الإسلام محمد بن
عبد الوهاب المتوفى سنة ١٣٣٩- رحمه الله تعالى -

علّق عليها

محمد بن إبراهيم
المصري

غفر الله تعالى له

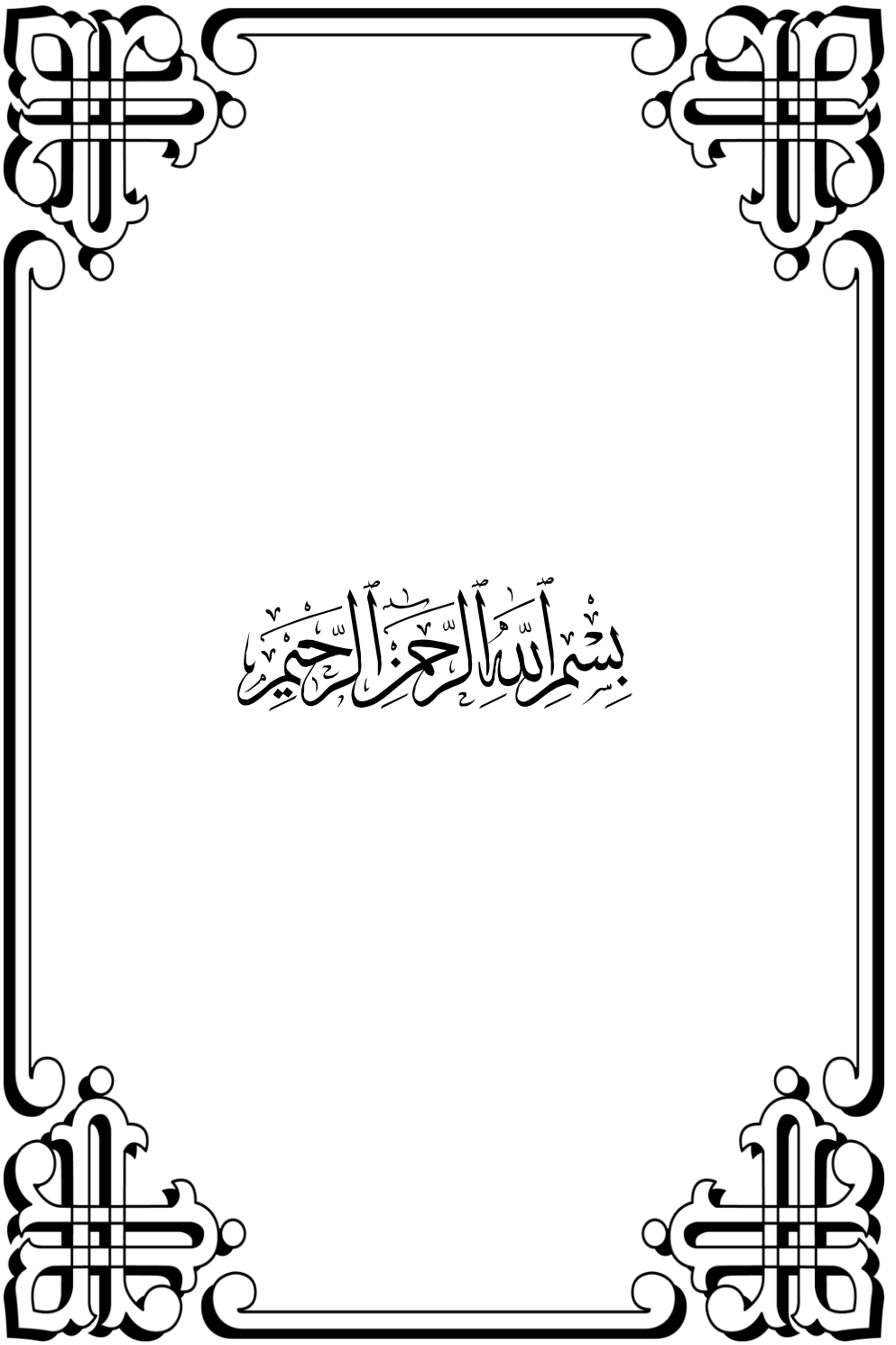
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

❋ ترجمة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -:

هو الشيخ العلاّمة الإمام عبد الله، ابن الشيخ عبد اللطيف، ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن، ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى -.

ولد في مدينة الهفوف بالأحساء سنة ١٢٦٥، وذلك حين كان والده مبعوثا من قبل الإمام فيصل بن تركي لإرشاد أهل الأحساء.

قدم الرياض سنة ١٢٧٢، وأخذ العلم عن أبيه وجدّه والشيخ حمد بن عتيق والشيخ عبد الرحمن بن عدوان وغيرهم.

ولحدوث بعض الفتن بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي وتنافس عدد من أبنائه على الحكم مما أدى إلى حدوث عدد من الاضطرابات، انتقل الشيخ إلى الأفلاج.

وبعد أن مكث فترة من الزمن في الأفلاج عاد إلى الرياض، وخلّف آبائه وأجداده في منصب الإرشاد والتعليم وإلقاء الدروس، وكانت له جهود ورسائل في محاولة رأب الصدع وحلّ الخلافات[١].

وبعد سقوط الدولة السعودية الثانية استمر في التعليم والإرشاد حتى فتح الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى الرياض سنة ١٣١٩ فكان خير معين له للقيام بهمة الإرشاد والنصح والتوجيه، وتزوج الملك عبد العزيز ابنته وأنجب منها فيصلا الذي صار ملكاً فيما بعد.

وأخذ عنه العلم من أسرته ومن غيرهم عدد كثير.

توفي سنة ١٣٣٩، ورثاه جمع منهم الشيخ محمد بن إبراهيم ابن أخيه، والشيخ سليمان بن سحمان - رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى جميعاً -.

وفي ترجمته جوانب كثيرة مشرقة منيرة لم تذكر هنا، رحمه الله ورفع درجته[٢].

(تنبيه): من خلال الترجمة تستطيع إدراك كثير مما يشير إليه الشيخ في الرسالة.

---

(١) راجع: المجلد التاسع من «الدرر السنية».

(٢) انظر«الدررالسنية في الأجوبة النجدية» (١٦/ ٤٥٩: ٤٧٠)، «المبتدأ والخبر...» (٤/ ١٥١: ١٧١)، «تسهيل السابلة.... » (٣/ ١٧٧٠)، «تراجم متأخري الحنابلة» (ص/ ١٤٢)، «الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد» (ص/ ٢٦٤، ٢٦٥)؛ وغيرها.

قال الشيخ الإمام عبد الله بن الشيخ عبد اللطيف - رَحِمَهُمَاٱللَّهُ تعالى -(١):

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن عبد اللطيف، إلى جناب الفضلاء الأعلام، والمشايخ الكرام: إبراهيم بن عبد الله، وحمد بن حسين، وزيد بن محمد، وحمد بن عتيق، وصالح الشثري، ومحمد بن علي، وعلي بن إبراهيم الشثري، وإبراهيم بن عميقان، وسعود بن مفلح، وكافة الإخوان من طلبة العلم، حمانا الله وإياهم عن الاستكبار، عن قبول النصائح، ووفقنا وإياهم لاتباع السلف الصالح، وجنبنا وإياهم أسباب الندم والفضائح، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فإن موجب الكتاب، القيام بأوجب واجبات الدين، وأفضل شعائر الموحدين، وطريقة الرسول ﷺ ومن تبعه من الصالحين، من أداء النصحية لله، و لكتابه، و للأئمة، و العامة من المسلمين، فقد أرشدنا ربنا في ذلك، إلى طريق الفلاح المنجي من الخسران، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (بسم الله الرحمن

---

(١) هذه الرسالة في «الدرر السنة في الأجوبة النجدية» (٩/ ٦٩: ٨٢).

الرحيم)، ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾[العصر: ١-٣](١).

وقال تعالى﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ [سبأ:٤٦]؛ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «لما كان للإنسان الذي يطلب معرفة الحق، حالتان؛ **إحداهما**: أن يكون ناظراً مع نفسه؛ **والثانية**: أن يكون مناظراً لغيره؛ أمرهم بخصلة واحدة؛ وهي: أن يقوموا لله اثنين اثنين، فيتناظران، ويتساءلان بينهما، وواحداً وفرداً، يقوم كل واحد مع نفسه، فيتفكر فى أمر هذا الداعي وما يدعو إليه، ويستدعي أدلة الصدق والكذب، و يعرض ما جاء به عليهما، ليتبين له حقيقة الحال، فهذا هو الحجاج الجليل، والإنصاف المبين، والنصح العام»، انتهى.

وقد عرفتم: أنه لا بدّ في التوحيد من العلم به، والعمل، والدعوة إليه، فهذه طريقة الرسول ﷺ وأتباعه، في كل زمان ومكان، وهذا الواجب يجب على كل

---

(١) قال الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف – رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ تعالى – في بعض رسائله: «وقد علمتم ما أوجب الله عليكم من معرفة دينه وإخلاص العبادة له والبراءة ممن أشرك به، وأن كلمة الإخلاص «**لا إله إلا الله**» دلت على إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والبراءة ممن أشرك به، ولا يستقيم إسلام عبد إلا بذلك، فمن شك أو توقف في كفر من لم يعتقد دين الإسلام، ولم يتكلم به، أو لم يعمل به، فهو لم يأت بالإسلام العاصم لدمه وماله، الذي دلت عليه شهادة أن لا إله إلا الله».

واحد بحسبه، وإن كثر جهله وقلّ علمه واطلاعه[1]، فلو كان ذلك مقصوراً على أحد لعلمه وفضله لتعطلت أمور الدين[2]؛ أو كان فيه غضاضة للفاضل، ورفع للمفضول: لما قال عمر لرسول ﷺ أتصلي على ابن أبي وهو كذا وكذا؟ ولما أنكر على أبي بكر رضي الله عنه؟ قتال أهل الردة أولاً؛ ولما أنكر بعض الصحابة على بعض، لما هموا بجمع المصحف، حتى اجتمعوا على ذلك؛ ولما قال عمر رضي الله عنه: الله أكبر، أصابت امرأة وأخطأ عمر.

وهكذا شأن العلماء الأخيار، في جميع الأعصار، ومع ذلك فالأخوة الإسلامية باقية، لا يشوبها هوى ولا استكبارعن اتباع الحق مع من كان معه، فإن أشكل، فالرد بينهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ عند موارد النزاع.

وقد علمتم: أن الفتن كثيراً ما يلتبس فيها الحق بالباطل، ولكن يجب على المسلم معرفة الحق في ذلك بالبحث والمذاكرة، وإظهار ما يعتقده ويدين به، فإن كان حقاً سأل ربه الثبات والاستقامة، وشكره على التوفيق والإصابة؛ وإلا رده إلى من هو أعلم منه بحجة يجب المصير إليها، ويقف المرشد عليها، والله عند لسان

---

(١) يريد الشيخ – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى – بهذا الكلام أن الدعوة إلى الحق والأمر بالمعروف واجب بحسب استطاعة كل مكلف، فقليل العلم يكون منه هذا في حدود ما أتقنه وعلمه ولا يتجاوز حده وفهمه.

(٢) ويريد الشيخ – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى – بهذا أن الحق أحق أن يتبع وإن جاء به الصغير، ولا يلزم من هذا قدح في الكبير.

كل قائل وقصده ومجازيه بعمله، فلا بدّ من زلة قلم وعثرة قدم ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠].

ولا يخفى عليكم: أن الله تعالى ما أنعم على خلقه نعمة أجل وأعظم، من نعمته ببعثة عبده ورسوله محمد ﷺ، فإن الله بعثه وأهل الأرض عربهم وعجمهم، كتابيهم وأميهم، قرويهم وبدويهم، جهال ضلال على غير هدى ولا دين يرتضى، إلا من شاء الله من غُبَّرِ أهل الكتاب، فصدع بما أوحى الله إليه، وأمر بتبليغه، وبلغ رسالة ربه، وأنكر ما الناس عليه من الديانات المتفرقة، والملل المتباينة المتنوعة؛ ودعاهم إلى صراط مستقيم، ومنهج واضح قويم، يصل سالكه إلى جنات النعيم.

وجاءهم من الآيات، والأدلة القاطعة، الدالة على صدقه وثبوت رسالته، ما أعجزهم به، فلم يبق لأحد على الله حجة، ومع ذلك كابر المكابر، وعاند المعاند: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر:٥]، ورأوا: أن الانقياد له وترك ما هم عليه من النحل والملل، يجر عليهم من مسبة آبائهم، وتسفيه أحلامهم، أو نقص رياساتهم، أو ذهاب مآكلهم، ما يحول بينهم وبين مقاصدهم، فلذلك عدلوا إلى ما اختاروه من الرد والمكابرة، والتعصب على باطلهم والمثابرة[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في «مسائل الجاهلية»: «**الرابعة**: أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم

وأكثرهم يعلمون أنه محق، وأنه جاء بالهدى ودعا إليه؛ ولكن في النفوس موانع، وهناك إرادات ورياسات، لا يقوم ناموسها، ولا يحصل مقصودها، إلا بمخالفته، وترك الاستجابة له، وهذا هو المانع في كل زمان ومكان، من متابعة الرسل، وتقديم ما جاؤوا به، ولولا ذلك ما اختلف من الناس اثنان، ولا اختصم في الايمان بالله، وإسلام الوجه له، خصمان.

وما زال حاله ﷺ مع الناس كذلك، حتى أيد الله دينه، ونصر الله رسوله، بصفوة أهل الأرض وخيرهم، ممن سبقت له من الله السعادة، وتأهل بسلامة صدره مراتب الفضل والسيادة، وأسلم منهم الواحد بعد الواحد، وصار بهم على إبلاغ الرسالة معاون ومساعد، حتى من الله على ذلك الحي من الأنصار، بما سبقت لهم به من الحسنى والسيادة الأقدار، فاستجاب لله ورسوله منهم عصابة، حصل بهم من العز والمنعة، ما هو عنوان التوفيق والإصابة، فصارت بلدهم بلد الهجرة الكبرى، والسيادة الباذخة العظمى، هاجر إليها المؤمنون، وقصدها

مُّقۡتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان:٢١]، فأتاهم بقوله: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ ﴾[سبأ:٤٦] الآية، وقوله: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣].

المستجيبون، حتى إذا عز جانبهم، وقويت شوكتهم، أذن لهم في الجهاد بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩].

ثم لما اشتد ساعدهم وكثر الله عددهم، أنزل آية السيف، وصار الجهاد من أفرض الفروض، وآكد الشعائر الإسلامية، فاستجابوا لله ورسوله، وقاموا بأعباء ذلك، وجرّدوا في حب الله ونصر دينه السيوف، وبذلوا الأموال والنفوس، ولم يقولوا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤].

فلما علم الله منهم الصدق في معاملته، وإيثار مرضاته ومحبته، أيدهم بنصره وتوفيقه، وسلك بهم منهج دينه وطريقه؛ فأذل بهم أنوفا شامخة عاتية، ورد بهم إليه قلوبا شاردة لاهية، جاسوا خلال ديار الروم والأكاسرة، ومحوا ما عليه تلك الأمم العاتية الخاسرة، وظهر الإسلام في الأرض ظهورا ما حصل قبل ذلك، وعلت كلمة الله، وظهر دينه فيما هنالك، واستبان لذوي الألباب والعلوم، في أعلام نبوة محمد ﷺ ما هو مقرر معلوم.

ولم يزل ذلك في زيادة وظهور، وعلم الإسلام في كل جهة من الجهات مرفوع منصور، حتى حدث في الناس من فتنة الشهوات، والاتساع، والتمادي في فعل المحرمات، ما لا يمكن حصره ولا استقصاؤه، فضعفت القوة الإسلامية، وغلظت الحجب الشهوانية، حتى ضعف العلم بحقائق الإيمان، وما كان عليه

الصدر الأول، من العلوم والشأن، ورفعت عند ذلك فتنة الشبهات، وتوالدت تلك المآثم والسيئات، وظهرت أسرار قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [التوبة:٦٩]، وقوله ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**»(١).

ولكن لله في خلقه عناية وأسرار، لا يعلم كنهها إلا العليم الغفار، من ذلك أن الله يبعث لهذه الأمة في كل قرن من يجدد لها أمر دينها، ويدعو إلى واضح السبيل ومستبينها، كي لا تبطل حجج الله وبيناته، ويضمحل وجود ذلك وتعدم آياته؛ فكل عصر يمتاز فيه عالم بذلك، يدعو إلى تلك المناهج والمسالك، وليس من شرطه أن يقبل منه ويستجاب، ولا أن يكون معصوما في كل ما يقول، فإن هذا لم يثبت لأحد سوى الرسول.

ولهذا المجدد: علامات يعرفها المسلمون، وينكرها المبطلون، أوضحها وأصدقها وأولاها، محبة الرعيل الأول من هذه الأمة، والعلم بما كانوا عليه من أصول الدين وقواعده المهمة، التي أصلها الأصيل، واسمها الأكبر الجليل: معرفة الله بصفات كماله، ونعوت جلاله، وأن يوصف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من غير زيادة ولا تحريف، ومن غير تمثيل ولا تكييف، وأن يعبد [الله] وحده لا شريك له، ويكفر بما سواه من الأنداد والآلهة، هذا أصل دين الرسل كافة، وأول دعوتهم وآخرها.

---

(١) أخرجه الشيخان.

وفي بسط هذه الجملة، من العلم به وبشرعه و دينه، وصرف الوجوه إليه، ما لا يتسع له هذا الموضع، وكل الدين يدور على هذا الأصل، ويتفرع عنه.

ومن طاف البلاد، وخبر أحوال الناس من أزمان متطاولة، عرف انحرافهم عن هذا الأصل، وبعدهم عما جاءت به الرسل، فكل بلد وكل قطر وجهة – فيما يبلغنا – فيها الآلهة التي عبدت مع الله بخالص العبادات، وقصدت من دونه في الرغبات والرهبات، ما هو معروف مشهور، لا يمكن جحده ولا إنكاره، بل وصل بعضهم إلى أن ادعى لمعبوده مشاركة في الربوبية، بالعطاء والمنع والتدبير، ومن أنكر ذلك عندهم فهو خارجي، ينكر الكرامات[١].

وكذلك هم في باب الإيمان بالأسماء والصفات، ورؤساؤهم وأحبارهم معطلة لذلك، يدينون بالإلحاد والتحريفات، ويظنون أنهم من أهل التنزيه والمعرفة باللغات[٢]، ثم إذا نظرت إليهم، وسبرتهم في باب فروع العبادات، رأيتهم قد شرعوا لأنفسهم شريعة لم تأت بها النبوات، هذا وصف من يدعي الإسلام منهم في سائر الجهات.

---

(١) فقد خلطوا بين كرامات الأولياء وخصائص الربوبية والإلهية.

(٢) لما يكثرون الكلام في تعطيل صفات الله بدعوى المجاز والمشاكلة اللفظية وغير ذلك، والله المستعان عليهم.

وأما من كذب: بأصل الرسالة، ولم يرفع بها رأسا، فهولاء نوع آخر، ليسوا مما جاءت به الرسل في شيء، بل هم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ الآية [الأعراف:١٧٩]، ومن عرف هذا حق المعرفة، وتبين له الأمر على وجهه، عرف حينئذ نعمة الله عليه، وما اختصه به، إن كان من أهل العلم والإيمان، لا من ذوي الغفلة عن هذا الشأن.

وقد اختصكم الله من نعمة الإيمان والتوحيد بخالصة، ومنَّ عليكم بمنة عظيمة صالحة من بين سائر الأمم، وأصناف الناس، في هذه الأزمان، فأتاح لكم من أحبار الأمة وعلمائها حبرا جليلا، وعلمًا نبيلاً فقيهًا، عارفًا بما كان عليه الصدر الأول، خبيرا بما انحل من عرى الإسلام وتحول[1].

فتجرد للدعوة إلى الله، ورد هذا الناس إلى ما كان عليه سلفهم الصالح، في باب العلم والإيمان، وباب العمل الصالح والإحسان، وترك التعلق على غير الله، من الأنبياء والصالحين وعبادتهم، والاعتقاد في الأحجار والأشجار، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ، في الأقوال والأفعال، وهجر ما أحدثه الخلوف والأغيار، وجادل في الله، وقرر حججه وبيناته، وبذل نفسه لله. وأنكر على أصناف بني آدم، الخارجين عما جاءت به الرسل المعرضين عنه، التاركين له؛

(١) وهو شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب- رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأجزل له الأجر والثواب وأدخلنا و إياه الجنة بغير حساب -.

وصنف في الرد عليه من عاند أو جادل، وجرى من المخاصمات والمحاربات، ما يطول عده، وأكثركم يعرف ذلك.

ووازره على ذلك: من سبقت له من الله سابقة السعادة، فأقبل على معرفة ما عنده من العلم وأراده، من أسلاف آل مقرن[1] الماضين، وآبائهم المتقدمين، رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ رحمة واسعة، وجزاهم عن الإسلام خيرا، فما زالوا من ذلك على آثار حميدة، ونعم عديدة، يصنع لهم تعالى من عظيم صنعه، وخفي لطفه، ما هداهم به إلى دينه الذي ارتضاه لنفسه، واختص به من شاء كرامته وسعادته من خلقه.

وأظهر لهم من الدولة والصولة، ما ظهروا به على كافة العرب، وغدت لهم الرياسة والإمامة، رتبة تدرس بمجرد السابقة والعادة، لا تزاحمهم فيها العرب العرباء، ولا يتطاول إليها بنو ماء السماء، وصالحهم يرجو فوق ذلك مظهرًا، وجاهلهم يرتع في ثياب مجد، لا يعرف من حاكها ولا درى، فلم يزل الأمر في مزيد، حتى توفى الله شيخ هذه الدعوة، ووزيره العبد الصالح، رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ رحمة واسعة.

ثم حدث[2]: من فتنة الشهوات، ما أفسد على الناس الأعمال والإرادات، وجرى من الابتلاء والتطهير، ما يعرفه الفطن الخبير.

---

(١) يعني آل سعود: فجدهم هو الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -.

(٢) قال الشيخ ابن باز - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى - في «بيان حقوق ولاة الأمور على الأمة»:

ثم أدرك سبحانه من رحمته و ألطافه، أهل هذه الدعوة، ما رد لهم به الكرة، ونصرهم ببركته المرة بعد المرة، وبعضهم أدرك ذلك ورآه، ومن لم يدركه بلغه كيف كثر الابتلاء والامتحان لأهل هذه الدعوة، ثم تكون لهم العاقبة، وذلك سنة

«وقد من الله على هذه البلاد بدعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه ومناصرة جد هذه الأسرة الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذه الدعوة، وحصل بذلك من الخير العظيم، ونشرالعلم والحق، ونشر الهدى، والقضاء على الشرك، وعلى وسائل الشرك، وعلى قمع أنواع الفساد من البدع والضلالات ما يعلمه أهل العلم والإيمان ممن سبر هذه الدعوة، وشارك فيها، وناصرأهلها.

فصارت هذه البلاد مضرب المثل في توحيد الله والإخلاص له والبعد عن البدع والضلالات، ووسائل الشرك، حتى جرى ما جرى من الفتنة المعلومة التي حصل بسببها العدوان على هذه الدعوة وأهلها.

ثم جمع الله الشمل على يدي الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود والد الإمام فيصل بن تركي، رحمة الله على الجميع، ثم على يد ابنه فيصل بن تركي، ثم على يد ابن ابنه عبد الله بن فيصل بن تركي.

ثم حصلت فجوة بعد موت الإمام عبد الله بن فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجاء الله بالملك عبد العزيز ونفع الله به المسلمين...».

فذكر الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى الدولة السعودية الأولى ثم الثانية ثم الثالثة.

الله سبحانه السابقة في أنبيائه ورسله: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على قدر دينه**»(١).

وله في ذلك حكمة بالغة دلنا على بعض أفرادها في محكم كتابه، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ الآية [العنكبوت: ١-٢]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]، وقال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ﴾[الأنفال:٣٧].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ﴾ الآية [البقرة: ٢١٤]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ الآية [التوبة:١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ الآية [الحج:١١].

ثم إن الله سبحانه وتعالى من فضله ورحمته، جمع المسلمين على إمام واحد، وحصل لهم من الأمن والراحة والعافية، وكف أيدي الظلمة، ما لا يخفى.

ثم بعد ذلك: وقعت المحنة، وخبطتنا فتنة، عمّ شرّها، وطار شررها، وتفر الناس فيها أحزابا وشيعا، ما بين ناكث لعهده، خالع لبيعة إمامه، بغير حجة ولا برهان، بغضا للجماعة، ومحبة للفرقة والشناعة، وبين مجتهد لما رأى إمامه صدر

---

(١) كما جاء في الحديث المروي في المسند وغيره عن أبي سعيد الخدري وغيره.

مكاتبة للدولة، وبين واقف عند حده، يلوح بين عينيه: «**إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم فيه من الله برهان**»(١).

والرابع: ضعيف العنان، خوار الجنان، مع هؤلاء تارة، ومع الآخرين تارة، يتبع طمعه، وكل فرقة من هذه الفرق تضلل الأخرى، أو تفسقها، أو تكفرها، بل وتنتسب إلى طالب علم، تأتم به وتقلده، وتحتج بقوله عياذا بالله من ذلك، و المعصوم من عصمه الله، وحساب الجميع على الله، وهو أعلم بسرائرهم، وسيحكم بينهم سبحانه بعلمه.

ثم أذهب الله ذلك بالعود إلى الجماعة، وتجديد الأخوة الإسلامية، وذهاب الشحناء، وعاد الأمر إلى ما كان عليه، من ثبوت الإمامة، والدعوة إلى الجماعة، وتجديد العهود والمواثيق على ذلك، فحمدنا الله تعالى، وسألناه المزيد من فضله

---

(١) كما جاء في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ﷺ في ذكر بيعتهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال الشيخ ابن عثيمين في «شرح رياض الصالحين»:

«الكفر البواح، معناه: الكفر الصريح، والبواح: الشيء البين الظاهر، أما ما يحتمل التأويل فلا يجوز الخروج عليهم فيه، يعني لو قدرنا أنهم فعلوا شيئا نرى أنّه كفر، لكن فيه احتمال أنه ليس بكفر، فإنّه لا يجوز أن ننازعهم أو نخرج عليهم فيه، ونولهم ما تولوا، لكن إذا كان بواحاً صريحاً مثل: أن وليا من ولاة الأمر قال لشعبه: إن الخمر حلال اشربوا ما شئتم، أو إن اللواط حلال تلوطوا بمن شئتم، أو إن الزنا حلال، ازنوا بمن شئتم، فهذا كفر بواح ما فيه إشكال...».

ورحمته، وكنا مغتبطين، وأذهب الله عنا هباء الشبهات، وأطفأ نار تلك الضلالات.

ثم خرج من خرج بشق العصا ومفارقة الجماعة، طلبًا للفساد في الأرض وفلّا لجمع المسلمين عن مجاهدة أعداء الله المشركين، ومن انتظم في سلكهم من الطغاة والبغاة المفسدين، ثم كان عاقبة ذلك، حدثان عظيم، وضلال مستبين، مضادة لأمر الله ورسوله، ورفضا لفرضية الجماعة، وإقامة لشعائر أهل الجاهلية، لأن دينهم الفرقة، ويرون السمع والطاعة مهانة ورذالة.

فأتاهم النبي ﷺ بقوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣]، وقوله: ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن:١٦]، ومن شعارهم: أن مخالفة ولي الأمر، وعدم الانقياد له فضيلة، وبعضهم يجعله دينا، فخالفهم النبي ﷺ في ذلك، وأمرهم بالصبر على جور الولاة، والسمع والطاعة، والنصيحة لهم، وغلظ في ذلك، وأبدى وأعاد[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في «مسائل الجاهلية»: «**المسألة الثالثة**: أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة، والسمع والطاعة ذل ومهانة، فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأمر بالصبر على جور الولاة وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلظ في ذلك وأبدى وأعاد».

وهذه هي التي ورد فيها، ما في الصحيحين[١]، عن النبي ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**»، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «ولم يقع خلل في دين الناس أو دنياهم، إلا من الإخلال بهذه الوصية»، وقوله ﷺ: «**لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بسمع وطاعة**»[٢].

فليتأمل: من أراد نجاة نفسه هذا الشرط، الذي لا يوجد الإسلام إلا به، ومع ذلك استحسن الوقع من استحسنه، وأجاز نصب إمامين، وأثبت البيعة لاثنين، كأنه لم يسمع في ذلك نص: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**»[٣]، «**أوفوا ببيعة الأول فالأول**»؛ وما قاله الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في بيعة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، لما قال الأنصار –

وقال في «الأصول الستة»: «**الأصل الثالث**: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبداً حبشياً، فبين النبي ﷺ هذا بياناً شائعاً ذائعاً بكل وجه من أنوع البيان شرعاً وقدراً، ثم صار هذا الأصل لا يُعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به».

(١) هذا الحديث ليس في صحيح البخاري بل هو في صحيح مسلم والمسند والموطأ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) المعنى صحيح لكن ينظر من أخرجه أو ذكره عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(٣) وهو حديث ثابت في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

من أهل السقيفة - منا أمير ومنكم أمير؛ وما ذهب إليه الحكمان، في شأن علي ومعاوية رضي الله عنهما.

فلوا كان جائزًا في دينهم نصب إمامين، لأقرا عليًا على الحجاز والعراق، وأقرا معاوية على مصر والشام، ولكن لم يجدا مخرجا إلا بخلع أحدهما، مع أن عليا رضي الله عنه، لم يقاتل معاوية وأهل الشام، إلا لأجل الجماعة، والدخول في الطاعة، وكان محقا في ذلك رضي الله عنه [1].

وما ذهب إليه الحسن، في خلع نفسه، فلو رأى ذلك جائزا له، لاقتصر على الحجاز والعراق، وترك معاوية وما بيده، لكن لما علم أن ذلك لا يستقيم إلا بخلع أحدهما، آثر الباقي وغض الطرف عن الفاني، وخلع نفسه.

وكذلك ما قال إمام هذه الدعوة النجدية، الشيخ: محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، لما أراد عبد العزيز:أن يجعل أخاه عبد الله أميرا على الرياض بعد فتحها، أنكر ذلك

---

(١) وقال الشيخ حافظ الحكمي في «الجوهرة الفريدة»:

والحق في فتنة بين الصحاب جرت ... هو السكوت وأن الكل مجتهد

والنصر أن أبا السبطين كان هو الـ ... ـمحق من رد هذا قوله فند

تباً لرافضة سحقاً لناصبة ... قبحًا لمارقةٍ ضلوا وما رشدوا

وأعظمه، وقال هذا قدح و غيبة لإمام المسلمين، وعضده ونصيره، لأنه رأى ذلك وسيلة إلى الفرقة، مع أن عبد الله ما يظن به إلا خيراً، وحسبك به رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فإن كنتم معشر العلماء، تعرفون أن هذا حق وتعتقدونه، وآثرتم المسالمة والسكوت، فهيهات هيهات أنى لكم الخلاص، وقد كتمتم ما لا يجهل، فإن كنتم تعتقدون خلافه، وأن ما ذهبنا إليه واعتقدناه في هذه القضية خطأ، فرحم الله من أرشد جاهلا، وبصر حائرا، فإن أشكل الأمر فهلم، فالحكم والحق مقبول.

فيا ساستا[1] هاتوا لنا من جوابكم أهل ففيكم لعمري ذو أَفَانِينَ مِقْوَلُ
كتاب نحن فيه وأنتم؟ على ملة نقضي بها ثم نَعدلُ
أم الوحي منبوذ وراء ظهورنا ويحكم فينا المَرزبَان المرفلُ

هذه النصوص من كتاب الله نرجع عند التنازع إليها، وهذه الآثار من سنة رسول الله ﷺ وأحكامه، مضبوطة محررة، مسطورة في دواوين الإسلام، قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «والله ما توفي محمد ﷺ إلا وقد ترك الأمّة على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»[2].

---

(١) كذا ولعلها: يا ساسةً.

(٢) جاء هذا المعنى عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما في المسند وسنن ابن ماجة من حديث العرباض ابن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد توفي رسول الله ﷺ وما من طائر يطير يقلب جناحيه، إلا أبدى لنا فيه علماً[1]، فاستأنف النهار يا ابن الجبير، قبل أن تنفرج ذات البين، بينكم معشر العلماء، ويضلل بعضكم بعضا، أو يفسقه، أو يكفره، فتكونوا بذلك فتنة لجاهل مغرور، أو ضحكة لذي دهاء وفجور، تستباح بذلك أعراضكم ولا ينتفع بعلمكم.

فاعقدوا لكم محضرا، ولو طال منا ومن بعضكم لأجله سفر، للنظر فيما يصلح الإسلام، وتقوم به الحجة، ولو لم يعمل به عامل، تسدوا بذلك عنكم باب الفرقة، نصحا لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، فإني والله لا إخال الجرح يندمل، ولا الحية تموت، إلا أن يشاء ربي شيئا، وذلك لكثرة الطلاب لهذا الأمر، فقد وقع والله بكثرتهم، وأعضل البأس، واحتاج العاقل للنظر فيما هو الأصلح لدينه، والأرضى لربه، بالاجتماع على الأسدّ فالأسدّ، والأجدّ فالأجدّ، والأصلح فالأصلح.

فإن الشيطان متكىء على شماله، متحيل بيمينه، فاتح حصنه لأهله، يدأب بين الأمة بالشحناء والعداوة، عنادا لله ولرسوله ولدينه، تأليبا وتأنيبا، يوسوس بالفجور، ويدلي بالغرور، يزين بالزور، ويمني أهل الفجور والشرور، ويوحي إلى

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد فيه ضعف، ولمعناه شواهد، والله تعالى أعلم.

أوليائه بالباطل، دأبا له منذ كان، و عادة له منذ أهانه الله في سالف الأزمان[1]، لا ينجو منه إلا من أحب الآجل، وغض الطرف عن العاجل، وقطع هامة عدو الله وعدو الدين، باتباع الحق والعمل به، رضي ذلك من رضيه، وسخطه من سخطه، فإن لهذه الأمور غاية وخيمة، وعاقبة ذميمة، آخرها الأجل المقدور، وإلى الله عاقبة الأمور، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*.

❀❀❀

(١) وقال الشيخ عبد الله في رسالة له:

«وجميع أهل الباطل يحسنون باطنهم بزخرف القول، ولهم من يزخرف لهم ويجعل باطلهم في صورة حق، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢]».

* ما على هذه الرسالة من تعليقات فهي لمحمد بن إبراهيم المصري.